# إليزابيث في كربلاء

# **إليزابيث في كربلاء**

**رواية | أحمد صدِّيق**

الطبعة الرابعة: 2023

الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر لبنان - بيروت- بئر العبد

البريد الإلكتروني: DarAlbaqyatAlsalihat@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة ©

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل وبأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التصوير والتسجيل، أو تخزين المعلومات واسترجاعها دون إذن من الناشر والكاتب.

التدقيق اللغوي: عين للتدقيق

مخطوطة الغلاف: حسين مقيم

تصميم الغلاف: هيثم يوسف

رسوم: مُنى حسن - أمينة خليل

الصف والإخراج الفنّي

مريم المدحوب

# إليزابيث في كربلاء

أحمد صديّق

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى مَن أرجو جوارها في الدنيا والآخرة،

إلى مَن أهرب إليها وقت الشدّة والضيق،

إلى مَن قال في حقها الجواد عليه السلام: «من زارها فلهُ الجنّة»،

إلى أُخت السلطان علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه،

إلى من أرجو شفاعتها في الجنة سيدتي ومولاتي

السيدة الطّاهرة فاطمة المعصومة بنت موسى الكاظم عليهما السلام

مِن الذي يرجو منكِ نظرة - أحمد صدّيق
ليلة ميلاد السيدة المعصومة عليها السلام
من عشّ آل محمد في قُم المقدّسة ١٤٤٣هـ

هـذه القصـة مقتبسـة مـن قصّـةٍ حقيقيّـة كنـتُ طرفًـا فيهـا شـخصيًّا وشـاهدًا عليهـا، ولكنّـي أخفيـتُ أبطالهـا وغـيّرت بعـضَ أحداثهـا احترامًـا لخصوصّيـة المؤمنـين فيهـا.

.

## مقدمة لا بد منه

بين يدي القارئ الكريم قصة واقعية حقيقة عشت تفاصيلها كلها إما حضورًا ومشاهدة بنفسي، أو متابعة وحكاية من أبطالها أنفسهم، ومع ذلك فلا أبالغ أبدًا إن قلت إنها أغرب من الخيال......

قصة لم أسمع عن مثلها حتى في الروايات العالمية أو الأفلام الدرامية والخيالية، بل أقول لمؤلفي تلك القصص الخيالية متباهيًا بأهل البيت عليهم السلام، مقالة الفرزدق:

أُولَئِكَ آبَائي، فَجِئْني بمِثْلِهِم ... إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

على أن أولئك المؤلفين يعتمدون على أوهامهم وخيالاتهم، بينما أعتمد أنا فقط على عينَيَّ وشهودي لتفاصيل القصة.

وهي حقا من أحسن القصص لارتباطها بأهل البيت عليهم السلام، و«لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا»، «فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»، وقد قلت بأن المقدمة لا بد منها للتنويه على أني اضطررت للتدخل في صياغة الحوار وتسلسله،

وربـما أضفـت شـيئا مـن عنـدي للحـوار حفاظًـا على تسلسـل الأحـداث أو تزيينًـا لهـا، ثـم ربـما أضفـت بعـض الآيـات والروايات عـلى لسـان صديقي أو لســاني تــبرّكًا بــكلام الله تعــالى وأهــل البيــت صلــوات الله عليهــم.

أمـا الأحــداث والوقائـع فأغلبهـا حقيقيـة، وقـد أخفيـت بعـض المعلومـات الشـخصية حفاظـا عـلى خصوصيـة أبطـال القصـة.

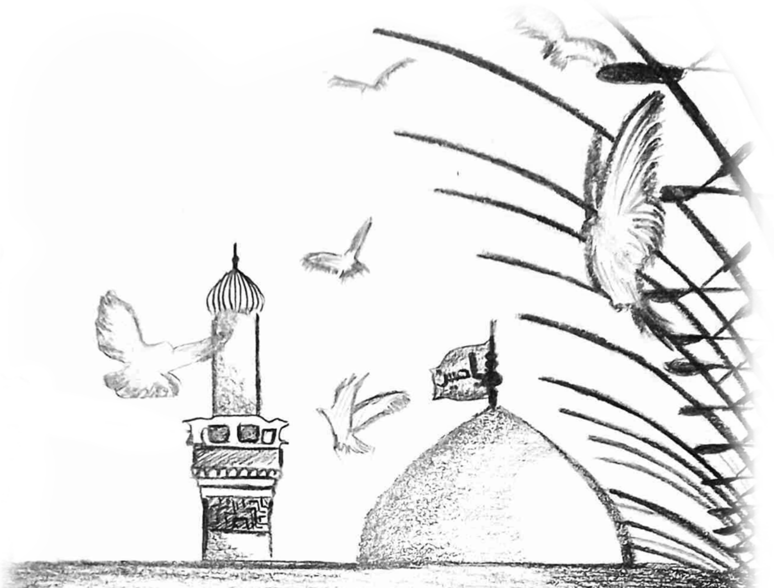

## بعدَ العِشرين من صفر

بعد العشرين من صفر، إذ رقأت الدمعة وهدأت الرنة، بدأت أبدان الزوار بالتهيؤ للعودة للأوطان، ولكن أرواحهم حلت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، وبقيت آماهم تجوب أزقّة كربلاء سائلةً: «هل سنعود؟»، وسادَ الهُدوءُ شارع القبلة وبين الحرمين، ولم يبقَ إلا غُبار الزائرين يشكو فقدهم، لم يبقَ في كربلاء إلا مَن لم يستطع فراق الحُسين عليه السلام ولديه القُدرة على تمديد رحلته.

بفضل من الله تعالى وكرم الحسين عليه السلام، استطعت مع بعض الأصدقاء تمديد بقائنا فنمكث في كربلاء المقدسة لعلنا نحظى بقبس من نور حرمه الشريف، ونحصل على جذوة من قبته البيضاء العالية، وما ذلك على الغريب بغريب، كُنا نجلس بين الحرمين، بين قُبّة العباس وإمامه الحُسين عليهما السلام إلى بعد شروق الشمس، ولم يكن حديثنا إلا عن تلك التضحيات الجليلة التي

حصلت في هـذه البقعـة المباركـة، وعـزاء الأربعـين وتجربـة توثيـق المشّـاية مـن النجـف الأشرف، لقد كانت مـن عادتي أن أقـومَ بتصوير مـا يمكـن تصويـره مـن مشـاهد المشـاية والأجـواء المشـحونة بزَجَل المُسَـبِّحِينَ فِي حَظَائِـرِ الْقُدُسِ، وسُـتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَـاتِ الْمَجْدِ، وأعرضهـا في برامـج التواصـل الاجتماعـي، وأواسي المحرومـين مـن هـذه الزيـارة، المكنـون سرهـا، والظاهـر أثرهـا، لا ينالها إلا من وصفهـم أمـير المؤمنين عليه السـلام بأنهـم: «مُـرْهُ الْعُيُونِ مِـنَ الْبُكَاءِ، خُمْـصُ الْبُطُـونِ مِـنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّـفَاهِ مِـنَ الدُّعَـاءِ، صُفْـرُ الْأَلْوَانِ مِـنَ السَّـهَرِ، عَـلَى وُجُوهِهِـمْ غَـبَرَةُ الْخَاشِـعِينَ»، وأُعطيهـم الأمـل للوصـول في السـنة القادمـة والإصرار مهـما سـاءت الظـروف عـلى حجـز التذاكـر في موسـم الأربعـين، وكانـت الرسـائل تصلنـي بكثرة لدرجـة أني عجـزتُ عن قراءتهـا كلها، فكنـتُ أختار بعشـوائية بعض الرسـائل وأُجيـب بـما تيسّر.

وكالعـادة لـكل زائـرٍ قصّـة شـوقٍ خاصّـة بـه وعنايـة إلهيـة تغلّبـت عـلى الظّـروف كلهـا فأوصلتـه رغـمَ الدُّنيـا إلى أرضِ الطّف، وكانَ للحدِيـث حلاوتـه الخاصّـة في دقائـق الـشروق، خصوصًا جهة الـشّرق، حيـثُ نرى الشّـمسَ تشرق بخشـوع خلفَ قبّة قمر العشـيرة صلـوات الله عليـه.

كُنـتُ أجلـس بـين الحرمين لحظة الـشروق وبجانبـي صديقي

شهاب الأجنبي الذي يعيش في الغَرب ويعاني في كل سنة للوصول إلى سيد الشهداء عليه السلام، كانت لغته الأم هي اللغة الإنجليزية حيثُ إنّه تربّى وترعرع في بريطانيا، إلا أن والده قد ربّاه على حُب أهل البيت عليهم السلام منذ الصغر، فاشتدَّ عُوده على ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والبُكاء على الحسين عليه السلام، وغالبًا ما كنا نتحدّث بعد الأربعين عن الخطّة السنويّة والأهداف التي يجب علينا تحقيقها لخدمة الدين طوال هذا العام، ثم نعود لنتحدّث عن الإنجازات في العام السابق ونخطط مرة أخرى للعام المُقبِل. أثناء مناقشة الخطّة سألته عن القرارات المهمّة التي قد تؤثر على خدمته للحُسين عليه السلام في هذا العام، فأجابني أنه لا يريد إلا أن يتزوّج امرأةً مؤمنة تُعينه على دينه ودنياه، وأن يكون اختياره سليمًا حتى لا تكون زوجته سببًا في حرمانه من الراحة في الدنيا وخدمة الدّين، وشكى لي كثيرًا صعوبة الحصول على امرأة مؤمنة في مجتمعاتهم الغربية، وفاجأني عندما أخبرني عن ابتعاد الشيعة عن المجالس الحُسينية في الغَرب، وغياب الكثيرِ من الشباب حتى في أيامِ عاشوراء! وانجراف الشباب نحو الدّنيا بعذر الانفتاح، وخلع النساء للحجاب، والاستهزاء بالدين وعدم الالتزام بالأحكام الشرعية، حتى بلغَ بالبعض أنه يشرب الخَمر علنًا دونَ حسيبٍ ولا رقيب، وأصبح الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر تدخّلًا في الخصوصيات! ناهيكَ عن تعدّيهم على حريّاتك في اختياركَ للتديّن كمنهج حياة، فإنهم قد نكسوا على

رؤوسـهم حتـى أصبحـوا يعـدون التزام المـرء بمظاهـر التديـن تعديًا علـى حرياتهـم! فاعتبروا منـع المرأة من الحجـاب حرية لهـم، واعتبروا ارتـداء المـرأة للحجـاب تعديًـا عـلى حرياتهم! وصـار تعدّيهـم عـلى قناعـات الآخريـن في إحياء أمـر أهل البيـت عليهم السلام حقًّا لهم، وصـاروا يسـتهزئون بالالتـزام في أوقـات الصـلاة، وقامـوا يأمـرون بالمُنكـر وينهـونَ عن المعروف باسـم الحريّـة، فـ«اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَـلَالٍ وجُنْدًا بِهِـمْ يَصُولُ عَلَى النَّـاسِ وتَرَاجِمَـةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِـنَتِهِمْ»، والأمـور التي تُعيـق التديّن أصبحـت لا تُعدّ ولا يمكـن حصرها، بل أصبـح نمـط الحياة بـأسره يمنـع التديـن ويحاربه.

كانـت مشـكلة الـزواج أكـبر المشـاكل التـي تواجه الشـباب، حتـى لميسـور الحـال كشِـهاب، فهو لم يكـن مـن العوائل الفقـيرة، ولم يكُـن شـابًّا جاهـلًا منعـزلًا، بـل كانَ مـن أسرةٍ غنيّـة، وقـد حـاز على شـهاداتٍ أكاديميـة عديـدة، وقـضى سـنيَّه في الدراسـة والتجـارة، بل وكان اجتماعيًّـا بـكل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـى ومحبوبًا عنـد عامة النّـاس، فـكانَ الجميـع يرغـب بـه كـزوجٍ لابنتـه، إلا أنـه لم يُـرِد إلا مُحتَشِـمةً طاهـرةً لا ترغب بالدنيـا ولكن لم يجدها! وحـيّرني كثيرًا حين قال:

- «فكيـف أخطـط للـدار قبـل اختيـار مـن سيشـاركني فيها، وكيـف أهتـم بالمقاييـس الاجتماعيـة قبـل الاهتـمام بالمقاييـس الدينية،

وأهمها الولاء الكامل لأهل البيت عليهم السلام فهم... «مَلَاذِ حَيْرَتنا، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِنا، وَمَنَارِ حُجَّتِنا، وَمَدَرَةِ سَنَتِنا».

حاولت إقناعه بالبحث عن زوجةٍ في بلاد الخليج مثلًا، إلا أنه رفض الفكرة سريعًا وأخبرني بعدم تمكنه من الزواج بامرأةٍ عربيّة أصلًا، لأنه لا يعرف من اللغة العربية سوى ما كان يحفظه من السور والآيات الكريمة والأدعية والأحاديث الشريفة وذاك بعد سنين من دروس التحفيظ ودراسة معانيها بلغته، فسيعاني من التواصل معها، كما أن ثقافتهم الغربية تختلف تمامًا عن الثقافة العربية، ولم يكُن يريدُ المجازفة بذلك، فالحل الوحيد هو البحث عن امرأة من نفس الثقافة، تتحدّث اللغة الإنجليزية، يسهل التواصل معها إضافة لكونها مؤمنة بالطبع، ولكنها كانت كالإبرة وسط كومة من القش يستحيل إيجادها، وكان غيره في تلك البلاد يحصل على ما يريد عن طريق العلاقات المُحرّمة في البداية، فبعدَ المفاكهة والضحك واللعب يبني علاقة غير شرعية مع المرأة، ومن ثمّ يقنعها بقناعاته، ويغيّر من سلوكها، حتّى يتزوّجها، فلمّا سألته:

- «صارحني يا شِهاب، ألم تُفكّر يومًا بأن هذا هو الحَل الوحيد أمامَك للحصول على زوجة تناسبك؟».

فأجابني بشجاعة فورية دون أي تردد:

- «ومَـا خَـيْرُ خَـيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِـشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَـالُ إِلَّا بِعُسْرٍ»، يـا صديقـي، وهـل يُطـاع الله عـز وجـل مـن حيـثُ يُعـصى؟ أحمـد لا بَرَكـة في زواجٍ قـد بـدأت خطواتـه بالحـرام، ولا يُعقَـل أن الحلـول جميعهـا انقطعـت، فأنـا لم أفقد الأمـل بعد، وأنـا الآن أجلس أمـامَ قُبّة الحُسـين عليـه السـلام وكل أملي في التوسّـل بـه، فأُريـدكَ أن تدعو لي مـن صميـم قلبـك للحُصـول عـلى زوجـةٍ مؤمنـة خـلال هـذا العام.

فقلتُ له:

- «أنـت تريـد امـرأة إنجليزيـة مؤمنـة، شـيعية ملتزمـة، مـن بيـت إنجليـزي مؤمن، شـيعي ملتزم؟! شروطـك هذه لا تـكاد تتوفر إلا في بيـت أو اثنـين في أوروبـا كلهـا، فكيـف يمكـن أن تجـد ضالَّتَكَ هذه؟!».

فأجابني:

- «وَمَـا ذَلِـكَ عَـلَى اللهِ بِعَزِيـزٍ» يـا صديقـي العزيز، فـإن رحمة الله تبـارك وتعـالى واسـعة، وهو تعـالى القائـل في كتابه العزيـز: «وَمَن يَتَّـقِ اللهَ يَجْعَـل لَّـهُ مَخْرَجًـا، وَيَرْزُقْهُ مِـنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِـبُ وَمَـن يَتَوَكَّلْ عَـلَى اللهِ فَهُـوَ حَسْـبُهُ».

أعجبنـي إيمانـه وتمسّـكه بدينـه، فابتسـمتُ وأبديـتُ تعجّبـي

مـن كلماتـه بعـد الحديث عـن معانـاة الشـباب مـع الديـن في مجتمعه، فأمسـكَ يـدي بقـوّة وقـال لي:

- «لا عليك، ارفَع يدكَ الآن وادعو لي أمامَ قُبّة سـيد الشهداء! فكـما روي أن الصـادق عليه السلام مـرض فأمـر من عنـده أن يسـتأجروا له أجـيرا يدعو لـه عند قبر الحسـين عليه السـلام، فوجدوا رجـلا فقالوا لـه ذلـك، فقال: أنا أمـضي ولكن الحسـين إمام مفـترض الطاعة، وهو - أي الصـادق - إمـام مفـترض الطاعـة فـما حاجته لدعائـي عند قبر الحسـين! فرجعـوا إلى الصـادق عليه السلام وأخـبروه فقـال: «هـو كـما قال: ولكـن أمـا عَـرَفَ أن لله تعـالى بقاعا يُحِـب أن يدعى فيها فتلـك البقعة مـن تلـك البقـاع»، فعلينا في هذه البقعـة الدّعاء والتـضرع إلى الله جل جلاله والبقيـة فالله ووليُّـه يتولَّيانِها».

ضحكـتُ بسـبب إصراره، وأخبرتـه أني سـأدعو لـه دعـاءً مختلفًـا، فرفعـتُ يـدي مُبتَسِـمًا محـاولًا ممازحتـه داعيًـا:

- «إلهـي.. إن شِـهابا يحتـاج إلى زوجـةٍ مؤمنة، ولكـن مجتمعه صعـبٌ جـدًّا ولا أظنّـه سـيجد امـرأةً تناسـبه، فارزقـه في الجنـة ألـفَ زوجـةٍ مـن حُـور العـين، فمـن الواضح أنه لـن يتـزوّج بالدنيـا أبدًا».

ضحـك مـن دعائـي، ومـن وراء ابتسـامته كان يبدي اسـتياءً لعـدم تلبيتـي لرغبتـه بشـكل جـاد.

## معجزةٌ أربعينية

قطع حديثنا موكبٌ مَهيب، وكانَ وقته غريبًا جدًّا حيثُ إن عزاء الأربعين قد انتهى، وعاد أهلُ المواكب العزائية إلى ديارهم، وكان الوقت بعد الشّروق مباشرةً!

لم يكُن في الموكب ناعٍ أو مدّاح، ولم يكُن هُناك قصائد تُرَدَّد، ولم يكُن المَوكب منظّمًا أبدًا، وأمسك شهاب بيدي متوجها نحو الموكب لنرى في مقدمة الموكب العديد من النساء الباكيات بحرقة شديدة، ثم لمحنا في وسطهن امرأة مسنة، تسند طفلة صغيرة لم تتجاوز العاشرة من العمر، وكانت الطفلة تمشي ببطء وخوف شديدين وكأنها حديثة عهدٍ بالمشي......، لا، بل كأنها حديثة الولادة فإن النساء اللاتي يحاوطنها يبدو عليهن الخوف الشديد عليها...

كانَ موكبًا لا يُسمعُ فيه إلا الصراخ، وكلما اقتربنا من ذلك

الموكب المهيب، لم نسمع إلا أصوات بكاء تعلو وتزداد، والأقرب أنها كانت بكاءَ فرحٍ وسرور، إلى أن وصلنا إلى مكان قريب لنسمع تلك المرأة المسنة وهي تنادي بأعلى صوتها: «شُكرًا يا أبا الفضل، شُكرًا يا أبا الفضل، هذا من فضل الله وفضلك يا أبا الفضل»، ثم تردد: «شكرا لله شكرا لله»، ثم تبكي بكاءً مِلؤُه السعادة والشكر، وكانت بتلك الدموع والصرخات الصّادقة تجبر كل من رآها على البكاء والتفاعل حتى وإن لم يعلم أي شيء عن حالها وقصّتها!

أثار هذا الموقف فضولنا جميعًا، فسألنا أحد خدّام حرم العباس عليه السلام الذي كان يرافق هذا الموكب باكيًا، فأجاب ودموعه تتقاطر من عينيه: «هذه الطفلة كانت مشلولة تماما، لا تستطيع الوقوف على قدميها فضلا عن المشي، فجاءت هذه الأم المفجوعة بابنتها إلى حرم العباس عليه السلام، وأقسمت على الله تبارك وتعالى أن يفرج عنها كما كان العباس يفرج الهم عن أخته الحوراء زينب عليها السلام ويَشفيَ ابنتها سَكينة..».

ثم خنقته العبرة وأخذ يبكي بصوت مرتفع إلى أن هدأ نشيجُه، ثم أردف قائلا:

«بمجرد أن أنهت هذه المرأة الجليلة دعاءها، وإذ بابنتها المشلولة تبكي بحرقة وتنادي بأعلى صوتها: «وا عبّاساه!»، ثم إن هذه الفتاة المشلولة بعد هذه الصرخة وبقدرة القدير، قامت من

كرسيّها ووقفت على رجليها وبدأت بالحركة ذهابًا ومجيئًا! وكل النساء الباكيات هُنا شاهدات على هذه الحادثة، فأخذت بنتها وأسندتها، وهي الآن مُتجهة إلى ضريح الحُسين عليه السلام، لتشكره وتودّعه». ثم أخذ الخادم يكرر الصلاة على محمد وآل محمد ويقول: «أنتم أهل الخير ومعدنه»، كانَ يبكي بشدّة وهو يشرح ما جرى أثناء مشيه، وفي هذه الأثناء انتبهت لنفسي أن الدموع تجري على خدي من غير شعور، ولم يكن هذا غريبًا لمن سمع بكرامات العبّاس عليه السلام، ولكن الغريب أني التفتُّ إلى شهاب لأراه باكيا مع أنه لم يفهم كلام الخادم وكان في انتظاري لأترجم له القصة، وكأن تلك المشاعر لا تحتاج لكلماتٍ تنقلها، وبعد أن هدأتُ قليلًا، بدأت أترجم تفاصيل الكرامة لشهاب، وكان في كل سكتة مني ينادي: «وا عبّاساه.. وا عبّاساه!».

جلسنا بين الحرمين بينما أكمَلَ الموكبُ طريقه إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكُن للحديث مَكان، ولم يحلَّ لنا إلا البُكاء ونحنُ ننظر لقبةِ العباس عليه السلام، وبعد تلكَ الجلسة الاستثنائية، تبادلنا الحّديث عن كرامة زوّار الإمام الحسين عليه السلام، والمعاجز التي يتناقلها الناس، وكانت هذه المرة الأولى التي نرى فيها معجزةً أمامَ أعيننا، فلو كانَ هنُاك مجالٌ للشّك في القصص السابقة، فكيفَ سنكذّب هذا الموقف العَجيب!

بعـدَ الحديـثِ ذي الشُّـجون... قامَ شَـهاب مـن مكانه ووجّه وجهَـهُ إلى القبلـة ثـم قـال:

- «إلهـي وسـيدي، إنـك قلـتَ في كتابـك المجيـد إنّ سـيدنا زكريـا نـاداك بعـد أن رأى معجزة السـيدة مريم عليها السـلام، فقلت تباركـت وتعاليـت: «هُنَالِـكَ دَعَـا زَكَرِيَّـا رَبَّـهُ قَـالَ رَبِّ هَـبْ لِي مِـن لَّدُنـكَ ذُرِّيَّـةً طَيِّبَـةً إِنَّكَ سَـمِيعُ الدُّعَـاء»، وإني قد رأيت هـذه الكرامة لأبي الفضـل العبـاس عليه السلام، وأقـول وأنـا بـين حرمـين مقدسـين: هنالـك دعـا شـهاب ربـه: ربِّ هَـب لي مِـن لَدُنكَ زوجـةً طيّبـة إنك سـميع الدُّعـاء».

ثم توجّه إلى قبّة الإمام الحُسين عليه السلام وقال:

- «السـلام عليـك يـا سـيدي ومـولاي يـا أبـا عبـدالله، أنـا عبـدك وابـن عبـدك وابـن أمتـك، جئتـك زائـرا لائـذًا بحرمـك، متوسّـلًا إلى الله بـك، متضرّعًـا إلى الله تعـالى وإليـك لمنزلتـك عند الله، عارفًـا عالمًـا أنـك تسـمع كلامـي وتـرد سـلامي، لقولـه تعـالى: «وَلاَ تَحْسَـبَنَّ الَّذِيـنَ قُتِلُواْ فِي سَـبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَـلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُونَ» فيـا مـولاي إني لو وجـدتُّ إلى اللهَ تعالى شـفيعًا أقرب منـك لقصدت إليـه، فـما خـاب راجيكـم ولا ضـلَّ داعيكم، فكـن لي إلى الله شـفيعا، يـا أبـا عبـدالله أرجـوكَ.. أريـدكَ أن تزوّجنـي زوجـةً تختارهـا أنـتَ، وأريدهـا مـن بـين الحرمـين، مـن زوار الأربعـين، زوجـةً لا تُبعـدني

عنـك، بـل تقرّبنـي منـك ومـن مجالسـك، وتشـجّعني عـلى زيارتك، بحـق وجوهنـا التـي غيّرتهـا الشـمس سـعيًا إليـكَ، وقلوبنـا المحترقة عـلى مصابـك، وأرواحِنـا المشـتاقة دائـمًا للقائـك، وبحـق كل خطـوةٍ ودمعـةٍ ولطمـةٍ وصرخةٍ في هذا الموسـم مـن الأربعين، وبحـق زُوّارك وضيوفـك الذيـن لا تُـرَدُّ حوائجهـم، أريـد زوجـة صالحـة تُلحِقُنـي بكـم فـإن «مَـنْ اتّبعَكُـم فالجنّة مـأواه، ومن خالفَكُـم فالنّـار مثواه»».

كان يـردد فقـرة الاسـتئذان للزيـارة فيقـول: «وَأعْلَـمُ أنَّ رَسُـولَكَ وَخُلَفـاءَكَ عَلَيْهِـمُ السَّـلامُ أحْيـاءٌ عِنْـدَكَ يُرْزَقُـونَ، يَـرَوْنَ مَقامـي، وَيَسْـمَعُوَن كَلامـي، وَيَـرُدُّونَ سَـلامي، وَأنّـكَ حَجَبْـتَ عَنْ سَـمْعي كَلامَهُـمْ، وَفَتَحْـتَ بـابَ فَهْمي بِلَذيـذِ مُناجاتِهِـمْ»، ثم جلس بجانبـي وابتسـمَ ابتسـامة واثـقٍ بمـولاه، وقـال:

- «إن كُنـتَ لـن تدعـوَ لي، فلـن أنتظرك، وسـيزوّجني إمامي الحُسـين صلـوات الله عليـه، كـما شـافى أخـوه العبـاس عليه السلام الطفلـة المشـلولة «سَـكينة»».

ابتسـمتُ في وجهـه، وأخبرتُـه أني أتمنى له كل خير، وسـأدعو لـه كـما يُحـب، وأني لأرجـو ألا نلتقـي في السـنة القادمة إلا وقـد أحرزَ نصـفَ دينِـه، ثـمّ افترقنا عـلى أمل العـودة لزيارة الإمام الحسـين عليه السلام في أقـرب وقـت.

## بين رسائل المحرومين

عـادة مـا أذكر عنـد وصـولي إلى أرض الوطن مناجـاة المحبين للإمـام زيـن العابديـن صلـوات الله عليـه: «إِلهِـي مَـنْ ذَا الَّـذِي ذَاقَ حَـلاوَةَ مَحَبَّتِـكَ، فَـرامَ مِنْـكَ بَـدَلًا؟ وَمَـنْ ذَا الَّـذِي أَنِـسَ بِقُرْبِـكَ، فَابْتَغَـى عَنْـكَ حِـوَلًا»، فـإني لم أذكـر الله عـز وجـل في مـكان بقدر ما ذكرتـه تبـارك وتعـالى في حـرم الحسـين صلـوات الله عليـه، كيـف لا وهـم «بـاب الله الـذي منه يؤتـى، ووجهه الـذي يتوجه إليـه الأولياء، والسـبب المتصـل بـين الأرض والسـماء».

عـلى الرغـم مـن أني كنتُ بـين زوجتـي وأبنائـي، إلا أن فراق الحُسـين عليه السلام يشـعرك بالغُربـة وإن كنتَ بـين أهلك وسـط موطِنِك، فكنـتُ أُسـلّي غُربتي بقـراءة رسـائل المحرومين الذين كانـوا يتفاعلون مـع التوثيـق المرئـي لزيـارة الأربعـين، فعندمـا أقـرأ رسـالة ملؤهـا الحـسرة لعـدم التوفيق للوصول إلى أرضِ كربلاء كنتُ أشـكرُ الله جل جلاله لأني وإن كنـتُ بعيـدًا الآن عن الحُسـين عليه السلام إلا أني زُرتـه ولم أكُن من

المحرومين، فكانت هذه الرسائل نعمَ السّلوة لي، وكانت تجعلني أدعو الله كثيرًا كي لا أكون في يومٍ من الأيام جليسَ الدّار بينما يمشي الملايين على الأقدام أيّامًا ليزوروا الغريب! فكيف أستطيع أن أؤدي حق كل هذه النعم السابغة عليّ، بل كيف لي أن أعدها أو أحصيها، وتذكّرت مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام التي تعجز عن اقتباس جملةٍ واحدة تكتفي بها لتشكر الباري عز وجل، بل تضطر إلى قراءتها كاملة لما فيها من ذوبان في الحمد والشّكر، إذ يقول فيها عليه السلام: «إلهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَنِي عَنْ إحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ، وَأَعْيانِي عَنْ نَشْرِ عوارِفِكَ تَوالِي أَيدِيكَ، وَهذَا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النَّعْماءِ، وَقابَلَها بِالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بِالإهْمالِ وَالتَّضْيِيعِ، إلهِي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْرِي، وَتَضاءَلَ فِي جَنْبِ إكْرَامِكَ إيَّايَ ثَنائِي وَنَشْرِي، جَلَّلَتْنِي نِعَمُكَ مِنْ أَنْوَارِ الإيمانِ حُلَلًا، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلًا، وَقَلَّدَتْنِي مِنْكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْنِي أَطْوَاقًا لا تُفَلُّ، فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسانِي عَنْ إحْصائِها، وَنَعْماؤُكَ كَثِيرَةٌ قَصُرَ فَهْمِي عَنْ إدْرَاكِها فَضْلًا عَنِ اسْتِقْصائِها، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إيَّاكَ يَفْتَقِرُ إلى شُكْر، فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ»، ففي كلّ رسالة أقرؤها أجدُ نفسي مُجبرًا على شُكرِ الله عز وجل لكي لا تزول مني هذه

النعمة.

من بينِ تلكَ الرسائل التي أبكتني فعلًا، كانت رسالةً كتبتها أُمٌّ مشتاقةٌ إلى الحُسين عليه السلام قالت فيها:

- «توثيق زيارتك للأربعين علَّقَ ابني الذي لم يبلغ العشر سنين بزيارة الحُسين عليه السلام، فقد كان يقلّدكم في المشي، وقرّر لبس السواد وهو ينظر إلى خطواتكم، وطلب مني أن أصنع له الشّاي الأحمر ليوزّعه في المنزل على حب الحسين عليه السلام، وأجبرني على إعدادٍ مكانٍ للزوّار في غرفة المعيشة لينام فيه مثلكم، وكان ينام مع نومكم مبكّرًا ليقوم في النهار ويمشي معكم في حديقة المنزل، وكسرَ قلبي عندما أخبرني أنه لا يُريد أن يكون بعيدًا عن الحُسين عليه السلام خصوصًا في السنة القادمة بل لن يُرضيه إلا أن يرى نفسه بين الزائرين أشعثًا أغبرًا».

مثل هذه الرسائل كانت تُشعرني بالمسؤولية حقًّا، وتريني الأثر الكبير في توثيق مثل هذه الشعائر الحُسينية العظيمة التي تعلّق حتّى الأطفال بالإمام الحُسين عليه السلام، ولذا كُنتُ حريصًا على قراءة ما تيسّر من الرسائل التي تبعث فيّ الهِمّة للعمل الشّاقّ الحثيث لتشجيع المؤمنين للوصول إلى الإمام الحُسين عليه السلام، وهذه الرسالة بالذات جعلتني أهتم أكثر بتوثيق هذه الزيارات بعد أن كدت أستصغر قدرها، وتذكرت كلامًا لأمير المؤمنين صلوات الله

عليه في نهج البلاغة إذ يقول: «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللهِ كَذلِكَ، إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ».

بينَ آلاف الرسائل، وقعت عيني على رسالة مميّزة، لفتَ انتباهي إليها أنّها لم تكُن باللغة العربية، بل باللغة الإنجليزية، وكنتُ غالبًا أهتمّ وأُقدّم الرسائل الأجنبية على العربية خصوصًا بعدَ احتكاكي بشيعة الغرب أمثال صديقي شِهاب، حيث إنهم أصحاب الأسئلة الأهم لفقدهم الكثير مما لدينا من سهولة الحصول على الإجابات، وأسئلتهم على الرغم من كثرتها لكنّها غالبًا ما تكون بسيطةً جدًّا وسهلة، إلا أن بُعدهم عن العلماء، واحتكاكهم مع مريدي الدُّنيا وانشغالهم مع مُلهَياتِها، جعلهم مستضعفين كثيرًا، فبعضهم كان يسألني عن طريقة الوضوء الصحيحة، وأحكام الصلاة، ووصل الحال بالبعض أن أخبرني بعدم علمه بوجوب غُسل الجنابة! واضطرّ إلى إعادة صلواته التي كانت خاطئةً أصلًا، فحتّى لو كانت هُناك مراكز إسلامية في بلادهم شَمّرَت عن ساعدَي الجِد في التَّبليغ، إلا أن الوصول إلى الجميع ليس باليسير! فعلمتُ أن على كل منّا المسؤولية في إنقاذ أكبر عددٍ ممكن من الشَّبابِ المؤمن.

لـذا كانـت الرسـائل الأجنبيّـة تأخـذ منّـي مأخذَهـا مـن الاهتـمام، فبَـينَ رسـائلِ الزّائرين دخلتُ عـلى تلكَ الرِّسـالة المختَصَرة باللغـة الإنجليزيـة وكان نصّهـا:

- Salam Alaykum Ahmad, I know you might not read my message due to the amount of messages you receive, however in a nutshell, I would like to ask you if you are able to find me a Hussainiy pious husband from your friends.

Thank you

وترجمتها:

- السـلام عليكم أحمد، أعلمُ أنك قد لا تقرأ رسـالتي لكثـرة مـا يصلك، ولكن باختصار، أسـألكَ إن كنتَ تسـتطيع البحث لي عـن زوجٍ حُسـينيّ مؤمـنٍ تقـيٍّ مـن أصدقائك، شـكرًا جزيـلًا لَك

أخرجتنـي هـذه الرسـالة من ذلـك الجو الـذي كنت فيـه قبل لحظـاتٍ قليلـة، وأدخلتنـي في دوامة أسـئلةٍ متسلسـلة، فحسـابي ليس هـو المكان المناسـب لهـذا الطلـب، وفاجأتنـي الرِّسـالة بصراحتهـا، والطلـب المبـاشر بـلا إطالـة أو مقدّمـات، وقـرأت في عُمـق هـذا الاختصـار قِصَصًـا طويلـةً مـن الألم، لا أعلـمُ لمـاذا! رسـالةٌ أثـارت

فضـولي كثـيرًا، رسـالةٌ أحسسـتُ بصِدقِهـا، فدخلـتُ عـلى الحسـاب باحِثًـا عـن معلومـاتٍ تسـاعدني في كشـف شيءٍ مـن الغُمـوض، فوجـدتُ محتـوى الحِسـاب باللّغـة الإنجليزيـة فقـط، ولم أرَ إلا صورًا للمشـاهِدِ المقدّسـة ومراقد أهـل البيت صلـوات الله عليهـم، وقرأتُ شـيئًا مـن المَقـالات المنشـورة، فوجدتُهـا علميَّـةً دقيقـةً تـدل عـلى أن صاحبَهـا يحمِـل علـمًا وثقافة جيّدة ومعرفـةً لا بأس بهـا بمحمد وأهل بيتـه صلـوات الله عليهـم أجمعـين، واهتمامًا خاصًّـا بإحياء المناسَـبات الإسـلامية، وقـرأت في المعلومات الشـخصية عن صاحب الحسـاب:

- Living In Qum

وترجمتها:

- أعيشُ في قّم المقدّسة

وقـد أثـارت هـذه المعلومـة العديد مـن الأسـئلة في ذهني، إذ ليـس من عـادة الأجانـب أن يختاروا قُم المقدّسـة كوطنٍ لهـم، ولمَ هذه الرسـالة؟ ولمـاذا أنا مـن وصَلَتْه؟ والكثـير من الأسـئلة الفضولية التي لم أجـد لهـا إجابـة، ولم أسـتطع سـؤال صاحب الشـأن كـي لا أتدخل في خصوصيتـه كـما أني لا أريـد فتح المجـال لحديـث لا يخصّني وقد لا يكـونُ مناسـبًا، ولكـي أكـونُ صريحًـا كنـتُ مـتردّدًا مـن الإجابة على هذه الرسالة أصلًا، حيثُ إني لا أملكُ اليقين على صِدقِ صاحِبِها.

فجـأة... تذكّـرتُ صديقي شِـهابًا الأجنبي، وحاجتـه إلى زوجةٍ مؤمنة حُسـينيّة، فتوسّـلت بالله ...وقـرّرتُ الاسـتخارة بالقـرآن الكريم قبل الإقـدام عـلى أيّ خطـوة، فاسـتخرتُ وظهـرت الآية:

- «وأنا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِع لما يُوحَى».

عندهـا لم أتـردد في الإجابـة عـلى الرّسـالة، وكنتُ مختـصَرًا في الإجابـة أكثـر مـن السـؤال نفسـه، حيـث إني كتبـتُ مبـاشرةً:

- «وعليكم السـلام، أسـأل الله أن يوفقكـم ويكتب لكُم كل خـير، موفّقـين».

لاحظَت زوجتي حيرتي، فسألتني:

- «كـما جـرت العـادة، رسـالةٌ جعلَتـكَ تفكّر في إعـداد خطّةٍ لمشروعٍ جديـد، أليـس كذلـك؟».

ابتسمتُ في وجهها وأجبتها:

- «ليسـت خطّـة جديـدة، ولكنّـي أتمنـى أن تكـونَ قصّـة جَديـدةً شَـيّقة، سـأخبركِ عنهـا في المسـتقبل، فذكّرينـي...»

## اتّصال دولي مع شِهاب

اتّصلتُ بصديقي شِهاب فورًا، وبعد السَّلام بدأتُ مباشرةً بالكلام، وذكّرته بلقائنا بين الحرمين والحَديثِ الأخير بينَنا، وسألتُه إن كان لا يزال يبحث عن زوجة، فضحك وأخبرني أنه لم يفقد الأمل وهو في طَورِ البَحث، فاتحته بالأمر وأبلغْتُه أني وجدتُ امرأة ربّما تكون مناسِبَةً ولا ضَيرَ في المحاولة، فبادرَ مُستفهِمًا: «ما اسمُها؟ مِن أين؟ وما مُواصَفاتُها؟ أمحتشمَةٌ هي؟» فما كان من جوابي إلا ما خَلَّفَ الحيرة:

- «يؤسفني أنّي لا أعرف عنها أيَّ شَيءٍ أبدًا، ولا أعلم مدى التزامها، كلّ ما أعرفه عنها أنها تتحدّث اللغة الإنجليزية وتَعيشُ في قُم المقدّسة ولا أعلمُ إن كانَت هذه المعلومة حقيقةً أو أنَّها مجرّد أمنِيَةٍ تتَمَنّاها هذه المَرأَة».

ضحـك كثـيرًا بعد سـماعِهِ لهذه الإجابـة، وتهدّمَـت آمالُه كلُّها وحطَّمَـت حَماسَـه، فسـألني وهـو يضحـك:

- «هـل أنـتَ تكرهنـي إلى هذه الدَّرجـة؟ هل حقًّـا تُريد مني الـزواج بامـرأة لا تعـرف عنهـا أي شيء؟».

فأخبرتـه بقصـة الرسـالة التـي وصلَتنـي، وحاولـتُ إقناعَـهُ بالمُحاولـة، فـلا يوجـد مـا تخسره، وكل مـا عليـه هـو إبـلاغ والدتـه بالتواصـل معهـا مباشرةً، والسـؤال عنهـا، والاتّفاق على لقـاءٍ يجمعها مَعَهـا إن أمكـن، فـإن كانت صادقـةً مناسـبةً لابنها كان بهـا، وإلا فلن يخسر شـيئًا، فكما يُـروى عن الإمـام الحُسـين عليه السلام : «طـولُ التَّجاربِ زِيـادةٌ في العَقـل»، وأخبرتـه أنّي اسـتخرتُ الله ... وكانـت الخِيرة جيّـدة، وحَثثُـه عـلى التوكُّلِ عليـهِ سـبحانه وأن يدعَ الخـوف، فالخِيرة فيـمَ اختـارهُ الله مهما كانـت النتائـج، وقد تكـونُ تجربةً لَطيفةً يسـتفيد منهـا، وإن لم تكُـن المـرأة مـن نصيبـه.

اقتنـعَ شـهابٌ بكلامـي، وأعطيتـه تفاصيـل الحسـاب الإلكـتروني، وأبلغتـه أن يُعطيـه لوالدتِـه ويـترُكَ الأيّـام تُرينا مـا تخبِّئُ لنـا مـن مفاجـآت، وقبـل أن أنهـي المكالمـةَ معـه قلـتُ لـه:

- «أُذكّـركُ أني لا أعلَـمُ شـيئًا عنهـا، فأنـا لم أتحـدَّث معَهـا ولم أسـألها حتى عن اسـمِها، ولم أرَ لهـا ظِلًا، ولا أعلم إن كانت شـخصيةً

حقيقيّة أو وهميّة حتى، ولكنّي أرجّحُ صِدقَها وأحسَنتُ الظنّ بها، ولا أرى ضَررًا في المحاولة، فاعتبرهُ ظنّ مؤمنٍ قد يُصيب كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ»، فلا تُلقِ عليّ اللوم إن لم تكُن كما تُحب أو تُريد، فأنا لن أتحمّل أي مسؤولية!».

ضحك كثيرًا وأجابني بأنه ليسَ طفلًا ولن يرفع آماله كثيرًا حتى لا ينكسر إن لم تكُن النتيجة كما يتمنّى، وأبلغني أن والدته لم تقصّر في إيجاد مرشّحات للزواج على الرغم من صعوبة ذلك، وفي كل أسبوع تقترح عليه مجموعةً من النساء، وقال لي إنها تَعرِفُ العديد من المؤمنات في إيران وبالخُصوص في قم المقدسة، ويسهل عليها الوصول إلى صاحبة هذه الرّسالة، وأنه أساسًا يمتلك العديد من المرشّحات في قُم، ولكنه لا يفكّر فيهنّ بجدّية لأنه لم يذهب إلى إيران سابقًا، جوازه البريطاني يمنعه من الحصول على تأشيرة دخول إلى إيران، وقد حاولوا أكثر من مرة فما استطاعوا، وطمأنني مرة أخرى بإيمانه بالله عز وجل حين قال:

- «أحمد.. لا تنسَ أننا طرقنا باب رحمة الله الواسعة وهو الإمام الحُسين عليه السلام، وتوسّلنا به إلى الله، ولا تنسَ ما يقوله الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه: «أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفًا، وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِواكَ مَوْلىً بِالإحْسانِ مَوْصُوفًا؟ كَيْفَ

أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟»، فأنا أوكلتُ أمري للذي لا تضيع عنده الودائع.

وأنهينا المكالمة بدعاء كلّ منّا للآخر على أن يكون اللقاء القادم عند الحُسين عليه السلام إن شاء الله.

كانت علاقتي بشِهاب قويّة جدًّا، وكانت تجمعنا العديد من المشاريع المشتركة، خصوصًا في ترجمة بعض الأعمال والمحاضرات والدروس العربيّة إلى اللغة الإنجليزية، فلم نكن ننقطع أبدًا، ومما يميزه أنه مهتمّ في ترجمة بعض الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام إلى اللغة الإنجليزية، فغالبًا ما كان يتّصل عليّ، لأقرأ عليهِ بعض الأحاديث أو الأدعية باللغة العربية ليحفظها، وأترجمها له، وفي المقابل كان يخبرني عن حال الشباب في الغرب، ويستشيرني في خططٍ لاستقطاب الشباب نحو المجالس الحُسينية.

على الرّغم من ابتعاد الشباب الشيعي عن الدين في الغَرب، إلا أن حرارة قتل الحُسين عليه السلام كانت لا تبرد في قلوبهم، فكنّا إذا أردنا أن نجذب أي فردٍ نحدّثه عن الحُسين عليه السلام وعن زيارته، وكانت هذه الوسيلة الأقوى للتأثير عليهم، فأهل الغرب عادةً يتمتعون بعاطفة جياشة لأبعد الحدود، ويتأثّرون كثيرًا بقصص المظلومين - عادةً لا أقل - ويحوّلونها دائمًا إلى قضيّة رأيٍ عام وإن كانت بسيطة، فكيفَ إذا كانت القصة هي قصة اليوم الذي قيل

عنـه: «لا يـوم كيومـكَ يـا أبا عبـدالله».

إنهـا مصيبـةٌ مـا أعظمهـا مـن مُصيبـة، تُبكـي مـن لا ديـن له، تحـرّك مشـاعر مَـن لا وجـدان لـه، تُثـير غـيرةَ مَـن لا غِـيرة لـه، تحيي كلَّ قلـبٍ ميّـت، وتفتّـت الصَّخـر، فكيـفَ بمـن يعلم من هـو الإمام الحُسـين عليه السلام ؟ كيـفَ بمـن يشـعر بأنـه ينتمـي إليـه؟ حتـى وإن كان بعيـدًا عـن نهجـه، إلا أن الانتـماء النّسـبي لـه الأثـر الكبـير في تهييـج المشـاعر، فـكان ذكـرُ مصيبة الإمام الحسـين عليه السلام أقوى سـلاح يخترق قلـب الشـباب في كل بقعـةٍ في هـذا العـالم، وإحيـاءُ ذكـرِه ومصيبتـه أمتَـنَ دِرعٍ لحمايـة الشـباب من سـهام ملـذّات الدُّنيا والتعلـق بها، وفي كل سـنةٍ في زيـارة الأربعـين بالخصـوص، أحـرص دائمًا عـلى الحديث مـع أكبر عـددٍ ممكـن مـن الشـباب، خصوصًا الذيـن يـزورون الإمام الحسـين عليه السلام للمـرّة الأولى، وأسـألهم عـن السـبب الـذي أوصلهـم إلى كربـلاء، غالبًـا مـا تجـدُ قصصهـم تتشـابه، فكلّهم قادهـم «الحُب» إلى هـذا الطريـق، وكلهـم اختـاروا التعلّـق بالحسـين عليه السلام بعـد التأثّر بمصابـه بـدل التعلّـق بملـذات الدنيـا، وتغلّبـوا عـلى شـهواتهم بالانشـغال بمجالسـه والحديـث عـن سـيرته، وكانـت نقطـة بدايـة توبتهـم هـي البُـكاء عليه.

حتـى أن الإمـام زيـن العابديـن صلـوات الله عليـه لمـا رأوه وقد رفع

رأسه من سجوده، وقد غمرت دموع عينيه لحيته ووجهه، فقيل له: أما آن لحزنك أن ينقضي؟! ولبكائك أن يقل؟! فقال: «ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيًّا ابن نبيّ، وكان له اثنا عشر ابنًا، فغيب الله عنه واحدًا منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم والهم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي؟!»، فحرارة قتله لا يمكن أن تبرد في قلب المؤمن، ومن هذا الانكسار الفطري يسهل على العبد أن يبدأ صفحةً جديدةً مع الله عز وجل نقيةً خاليةً من الذّنوب وقذارة المعاصي، فعلًا إنّه مصباح الهُدى وسفينة النجاة صلوات الله عليه.

فكنّا أنا وشِهاب نتواصل طوال العام لنعمل جاهدين ليسيطر حب الحسين عليه السلام على قلوب الشباب وينقذهم من ملهيات الدنيا، وكان شهاب نعم المُعين والمُستشار، ونعم الرفيق والصاحب في كل ما كنّا ننجزه ونقوم به، وكانت معظم اتصالاتنا تنتهي بطلبه مني الدعاء للتوفيق لزيارة غريب الغرباء في طوس، لأنه محروم من زيارته بسبب جوازه وصعوبة الحصول على تأشيرة الدخول إلى إيران.

كنت أسلّيه وأواسيه بأن الحسين صلوات الله عليه سيُبلغ

ابنـه الرضـا عليه السلام شـوقَه، والرجـاء أنـه سيشـفع لـه في يوم مـن الأيام لزيـارة غريـب الغربـاء.

## بعدَ عدّة أشهر

بعـد مـرور عـدّة أشـهُر، في صباحٍ مبكّـر، فزعـتُ مِـن نَومي عـلى صَـوت هاتفـي المُزعِـج، أخذتـه فنظـرتُ لشاشـته بنصـفِ عَينٍ لأرى اسـمَ صَديقي شـهاب، فسـددتُ المُكالمَة دونَ رَدّ حتّى لا يَسلُبَ مِنّي نَومـي، ولكنـه اتّصـل مـرّةً أخـرى، فأجبتـه وسـألته مبـاشرةً:

- «هل تعلم كم السّـاعة الآن يا شِـهاب؟ سـأحدّثك لاحِقًا، أرجـوك دعنـي أُكمـل نومـي».

أجابني مباشرةً باستِعجال:

- «أحمـد أرجـوك، أحتـاجُ منـكَ خدمـةً ضروريـة، سـؤالٌ واحـدٌ فقـط!».

- «تفضّل؟ ما الضّروري إلى هذا الحدّ يا شهاب؟»

- «هـل تعرف أحـدًا في حُكومة إيران؟ أحتـاج إلى من يدلّني عـلى شـخصٍ قـادرٍ عـلى أن يقـوم بالإجـراءات الحكوميـة المتعلقة في الإقامـة في إيـران والإذن للسّـفر لإخـراج شـخصٍ مـن إيـران؟».

- «وهـل أنـت جـاد يـا شـهاب؟ هل تظـن أنك تتحـدث إلى وزيـرٍ أو ذي منصـب رفيع! بالطبـع لا أعرف أحـدًا في حكومةِ إيران! مـاذا بـكَ يـا شِـهاب؟».

- «إن كنـتَ لا تعـرف فلن تُفيدني، عـلى كل حال، هل تعرف أحـدًا يسـتطيع أن يستخرج لي تأشـيرة سـفر إلى إيران عـلى الأقل؟».

- «أنـتَ تعلـم يـا شِـهاب أن جـوازك بريطـاني، وتأشـيرة جـوازكَ لإيـران صعبـة جـدًّا، وتحتـاج موافقـة خاصّـة، وطلبًـا مـن شركـة تجارية كبـيرة مثلًا لتطلب اسـمك إلى إيـران، ولا أعـرف أحدًا يسـتطيع مسـاعدتك للأسـف، فأنا أعلـمُ أنّك مشـتاقٌ لزيـارة الإمام عـلي بـن موسـى الرضـا عليه السلام وتتمنّـى زيارتـه وتُكتَـب لـكَ قريبًـا إن شـاء الله»

- «كنـتُ أعلـم أنـه لا فائـدة منـك يـا أحمـد، عـلى كل حـال أرجـوك أن تدعـو لي لحاجـةٍ ضروريّة قضاؤهـا بيد الله، فالطّـرق كلّها أُغلِقَـت في وجهـي ولا أعلـمُ إلى أيـنَ أتّجـه».

- «توسّل إلى الله بمحمد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ولا تخف، وتذكّر أننا لا نملك سواهم في الضّيق، فهم ملاذنا وقت الشدّة، وأعتذر كثيرًا لأني لم أستطع مساعدتك».

- «لا تعتذر أعلمُ أنّك لم ولن تقصّر، وسأحتاجك في المُستقبَل القريب، وأعدكَ أني لن أطرق بابًا غير باب أهل البيت عليهم السلام، وأنا متأكد أنهم لن يخذلوني».

اعتذر شهاب مني على إزعاجي ولكن بتململ واضح وخيبة أمل ثم أنهى المكالمة، وبعد هذه المكالمة هجر النوم عيني بطبيعة الحال، وليس هذا بالشيء المهم، ولكن الأمر ما أصابني من تأنيب الضمير بسبب طريقة حديثي مع صديقي العزيز.

وأصبح حالي كغصن اشتدت به الريح فتَحمله مرة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار! فتارة أمسك الهاتف لأكتب له رسالة نصية أعتذر فيها منه على سوء ردي وعدم استطاعتي مساعدته، وتارةً أتراجع خوفا من إزعاجه وهو مُنشغلٌ في حلّ مشكلته، فأقرر أن أرسل له رسالة صوتية أمازحه فيها لعلي أهوّن عليه بعض الضغط... وأبدأ بالتسجيل... وفجأة أتوقف وألغي التسجيل وكأنني استيقظتُ للتو، فأقول لنفسي: صبرا، صبرا يا أحمد، هل قال لي شهاب:

-«لإخراج شخصٍ من إيران؟».

شغلت هذه الجملة فِكري، ولم أفهم مراده، وانتابني شيءٌ من الفضول لكني لم أُرد التدخل، خصوصًا أني لم أستطع تقديم يد العون إليه.

تكفلت الأيام والليالي والشهور، ثم كثرة المشاغل والهموم بإلهائي عن تلك الحيرة والتردد، علمًا بأني تحدثت مع شهاب بعدها أكثر من مرة، ولكن من غير أن أثير معه الموضوع أو أستفسر منه عن تفاصيل تلك الجملة، فإن الفضول يقلّ ويختفي إما مع مرور الوقت أو مع مزاحمة هموم جديدةٍ في الذهن، فإن اجتمع كلا الأمرين صارَ النِّسيانُ حتميًّا...

## دعوةٌ مفاجِئة

بـلا سـابقِ إنذار اتّصلَ بي شِـهاب في يـومٍ من الأيّـام ليُفاجأني بِخَـبَرٍ مُفـرِح بـلا سـابقِ إنـذار اتّصـلَ بي شِـهاب في يـومٍ مـن الأيّـام ليُفاجـأني بِخَـبَرٍ مُفـرِح كثـيرًا فقـال:

- «اتصلـت بـك يـا أخـي العزيـز لأدعـوك إلى حفـل عَقـدِ قـراني، فقـد رزقنـي الله تبـارك وتعـالى زوجـةً مؤمنـةً صالِحَـة، وهـذه الدعـوة قبـل أن تكـون مِنـي شـخصيًّا، كانَـت مِـن والدي فقـد ذكرك بالاسـم ويتمنّـى حضـورَك».

- «ألـف مـبروك يـا شِـهاب، أفرحتَني حَقًّـا، فأنتَ تسـتحق كُلّ خـير يـا خـادم الإمـام الحسـين عليه السلام، وكلّي شرف بـأن أكـون من الحضـور في عقـد قرانـك، ولكـن متـى سيكون إن شـاء الله؟».

- «في يـوم ولادة الإمام المُنتظر عليه السلام، الخامس عشر من شـهر

شعبان المبارك تفاؤلا باستمرار الخير إن شاء الله تعالى، ولعلمك فإني أتشرف أن تكون تكاليف سفرك وإقامتك كلها على عاتقي، فإن حضورك ليس مهما جدا بالنسبة لي وحدي وإنما لوالدي أيضًا، فإيّاك ورفضَ الدّعوة لأيّ سببٍ كان! أعلمُ أنك ستتهرّب بكل ما أوتيت من وسائل وستتعذّر بشتّى أنواع الأعذار، ولكني لن أسمح لك، ولن يرضى والدي إلا بحضورك».

سررت جدا بخبر اختياره لهذا التاريخ المبارك، وسررت أكثر بتعلق شهاب بأهل البيت عليهم السلام، فالإنسان يستشعر الإيمان بمجرد الكلام عنهم عليهم السلام، فقلت له:

- «الله الله... مولد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، نَعَمْ... اليوم المُبارك، والذكرى المفرحة، بل إن النصف من شعبان له فضيلة على غيره من الأيام، هنيئًا لك على هذا الارتباط بإمام زماننا، ويقينًا ستجد كل الخير في هذا الزواج إن شاء الله، ولكن كما تعلم أننا نُحيي ذكرى مولد الإمام في بلادنا، ونُقيم احتفالا ضَخمًا، ولقد كُلِّفت بمهام كثيرة للتجهيز لهذا الاحتفال، ولكني سأدعو لكَ من صميم قلبي وأبلغ سلامي لوالدك ووالدتك وبارك لهما بالنيابة عني».

- «لولا أنك تُحيي مجلسًا يُذكر فيه إمام زماننا لأجبرتكَ على الحضور يا أحمد، إن إحياء أمرهم عليهم السلام مقدّم علينا جميعًا،

هنيئًا لكم هذه المجالس الضخمة في أعظم المناسبات، لا تقلق إذًا، سأعتبر إحياءَكَ لميلادِ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حضورًا لعقد قراني، وأرجو أن لا تحرمني من دعائك».

- «بالطبع، لن أنساك يا صديقي، ولكن سؤالي هل أنتَ متأكّد من اختيارك؟ لا أريدك أن تزعجني لاحقًا وتخبرني بأن تجربة زواجك فاشلة، أو تأخذك زوجتك من خدمة الإمام الحسين عليه السلام وتسلب منك همّتك العالية في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ، فأجدك في مجالس البطالين يا شِهاب!».

- «لا تقلق... فهي كما أُريد وأُحب، وسأخبركَ بالتفاصيل لاحقًا إن شاء الله، لا تنسَني من دعائك يا صديقي وفي أمان الله».

- «وأنتَ من أهل الدعاء يا صديقي، في أمان الله».

# لقاءٌ جديدٌ في المَشّاية

اقـترب موسِـمُ العِشريـن مـن صفـر، واقـترب معـه موسـم تجديـد الحـزن عـلى آل الرسـول ﷺ، ولله الحمـد، مَـنَّ الله علينـا بتسـجيل أسـمائنا في سـجلّ زوّار الإمـام الحسـين عليه السلام في الأربعـين، نعـم إن المؤمنـين يأتـون مـن مشـارق الأرض ومغاربهـا ليسـيروا على الأقـدام قاطعـين تلـك المسـافات الطويلـة شـعثا غـبرا، فقـط لعـزاء المـولى أبي عبـدالله صلـوات الله عليـه في الأربعـين، وحبًّـا لرسـول الله وحبًّـا لعـلي وفاطمـة صلـوات الله عليهـم ورحمـة لـه ممـا ارتكـب منه عليـه السـلام، وهـم لا يريـدون بهـذا المـشي لهـذه المسـافات ثوابًا ولا جـزاءً، وكأن كل هـذه الجموع قـد توحد واجتمع لسـان حالها ليقول:

تـبـكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبة ... لـكـنّـما عيني لأجلِكَ باكية

تـبـتـلُّ مـنكم كربلا بدمٍ ولا ... تـبـتـلُّ منِّي بالدّموعِ الجارية

كما ومن حسـن حظي أن شـهابًا صديقي العزيز اسـتطاع هذه

السنة أن يلبي نداء الأربعين في هذه السنة بعد انقطاع دام لسنتين، فجمعتنا الأقدار ليدور بيننا هذا الحوار الشيق ونقطع تلك المسافة الطويلة بالحديث، ولكن.. عندما التقينا في الفندق وقبل أن نبدأ مسيرة المشاية، كأني رأيت على وجهه سحابة من الحزن، وهالة من الهم، ثم دققت النظر في وجهه!! لا، لا، إنها ليست حزنًا أو همًّا، وكأن نظراته ليست طبيعية أو بالأحرى ليست النظرات التي كنت أتوقعها من أخ عزيز افتقدته لمدة سنتين، كنت أحاول أن أتفرس أثناء الخطوات القليلة التي تفصلني به، ولكن.. كأنّه قد تدارك الأمر عند وصولي إليه ورسم على وجهه ابتسامة عريضة وأخذني بالأحضان وأخذ يرحب بي ويسألني عن الأهل والأصدقاء.

وما كانت إلا لحظات قليلة حتى تلاشى ذلك الظن من بالي وشعرت أنه على طبيعته التي أعرفه بها، فسألته عن والديه والأقرباء، ثم عن الأصدقاء والعمل، ولمّا علمت أن أموره كلها كانت - ولله الحمد- على ما يرام، قلت في نفسي لعل هذا من آثار السفر والتعب، فانشغلتُ مع الاستعداد للخروج مباشرةً للسّير إلى الحُسين عليه السلام.

كُنا نمشي معًا كعادتنا في كلّ عام، إلا أن هذه المرّة لم يكُن أعزبًا، فقد زوّجه الله بامرأةٍ مؤمنة تحفظه عند غيبته، وأظهر سعادته الكبيرة بهذه الزوجة، وتحدّث عن رضاه عنها وعن سترها

وحياتها وإيمانها ومعرفتها وفقهها، وأردتُ أن أذكّره بمُعاناته وكيف يجب أن يشكره سبحانه على هذه النعمة لتدومَ له، فجرى بيننا هذا الحديث:

- «هل تذكر شكواك عن صعوبة الحصول على زوجةٍ في مجتمعك قبل سنتين؟».

- «قد تتفاجأ يا أحمد، ولكنّها ليست من مجتمعي أبدًا».

- «عجيب! هل اقتنعت بامرأة عربية إذًا؟».

- «لا يا أحمد، إنها أجنبية وتتحدّث اللغة الإنجليزية والعربية معًا، وأنت لا تعرف عنها شيئًا إلا أنها تعيش في جوار السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قُم المقدّسة».

- «لم أفهم يا شِهاب؟».

- «توقّعتُ أنّك نسيت تمامًا، فقد كان هذا كله قبل سنتين من الآن، هل تذكر الرسالة التي وصلتك باللغة الإنجليزية؟».

- «شهاب! هل تلك الفتاة؟ التي أرسلت...»

- «نعم نعم، تزوّجت الفتاة التي أرسلت إليك الرّسالة

يـا أحمـد! كنـت أنتظـر لقـاءك لأخـبرك بالقصـة كاملـة! إنها فتـاةٌ من السـماء، ألم تتسـاءل كيـف لفتـاةٍ تعيـش في قُـم أن تتحـدّث باللغـة الإنجليزيـة؟».

- «أذكـر أنهـا أثـارت فضـولي كثـيرًا إلا أني لم أتجـرأ عـلى السـؤال، أخـبرني أرجـوك؟».

- «سـتتفاجأ يـا أحمـد، وأول المفاجـآت أن زوجتـي اسـمها «إليزابيـث»...».

- ««إليزابيـث»؟ لا أعتقـد أن المسـلمين يختـارون هـذا الاسـم لبناتهـم يـا شـهاب! هـل تزوّجـت امـرأة غـير مسـلمة؟!».

- «نصـف كلامـك الأول صحيـح، ولكـن نصفـه الآخـر ليـس كذلـك! أعني أن الاسـم ليس من أسـماء المسـلمين ولكـن المرأة مسـلمة، وهـل تعلـم أي الديانـات تسـمي هـذا الاسـم؟».

- «أعتقد أن النّصارى يستخدمونه كثيرًا».

- «صحيح... هل أثرتُ فضولك لمعرفة التفاصيل الآن؟».

- «إنـك تقتلنـي ببرودك يا شـهاب، أرجوك أخـبرني من هي زوجتـك؟».

- «حسـنًا حسـنًا... هـي كـما تظـن لم تكـن مسـلمة، بـل مسـيحية».

- «مسـيحية! ومـا الـذي أوصلهـا إلى قُـم المقدّسـة؟ وكيـف تعـرف اللغـة العربيـة؟».

- «لا تسـتعجل... فالقصـة طويلـة جـدًّا وطريقنـا أطـول، ولدينـا الوقـت كلّـه للحديـث عنهـا، وقبـل قُـم، ألا تُريـد أن تعـرف كيـف لمسـيحية أن تعـرف الحُسـين عليه السلام؟».

- «أخبرني يا شِهاب لقد جُنَّ عقلي حقًّا».

وفي هـذه الأثنـاء، ومـع كـوني في أعـلى درجـات التشـويق لمعرفـة التفاصيـل، إلا أنـه عـاد إليّ الإحسـاس بـأن شـهابًا ليـس على مـا يـرام، خصوصـا بعـد أن بـدأ يـسرد تفاصيل القصـة، فقصـة مثل هـذه عـادة تقـال بفـرح وسرور، ولكنـي افتقـدتُ هـذه الأحاسـيس في وجـه شـهاب ونـبرة صوتـه، ومـع هـذا فـإني لم أرغب بالتشـويش عـلى صديقـي العزيـز وفضّلـت الانتظـار، وفي لحظـةٍ تذكّـرتُ أنـه لم يـزر الإمام الحُسـين عليه السلام السـنة الماضيـة في الأربعين، وهـو الآن يزور

بعد انقطاع طويل، فمن المؤكّد أن انكساره بسبب الفراق الطويل عن زيارة الحُسين عليه السلام واستذكار مصابه، فلم أُرد التأثير عليه سلبًا وأردتُ المحافظة على روحه الحُسينية العالية، فبقيتُ مستمعًا لحكايته، فبدأ:

- «لم تكن زوجتي إليزابيث مسيحية الديانة فحسب، بل كانت من أسرةٍ مسيحية متشددة جدًّا، وكان والدها متغربًّا يعيش في أمريكا إلا أنه مسيحي من أصولٍ لبنانية، وتزوّج مسيحية من أمريكا، ولأنه كان أستاذًا في الجامعة يعلّم اللغة العربية، فقد كان حريصًا على التمسك بهذه اللغة حتى في الغرب، ولذا فإن زوجتي تتقن اللغة العربية وتتحدّثها بطلاقة وكانت مع والدها تلتزم بالحضور إلى إحدى الكنائس الكاثوليكية كل يوم أحد، وتلتزم بالطقوس والترانيم المسيحية، وتربّت على عقيدة اليسوع كما يسمّونه أو المسيح كما يلقبونه، بينما نسميه نحن المسلمين عيسى عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم، ونتفق معهم على لقب المسيح، وكان والدها صديقًا قديمًا للأب المربّي - القسّيس - في الكنيسة، وكان هو من يسمّي أبناء صديقه، ولشدّة تعلّق القسّيس بالإنجيل اختارَ لزوجتي ولأخواتها أسماء ذُكرت في أسفار الإنجيل، أما اسم زوجتي «إليزابيث» فهو ترجمة للاسم «أليصابات» أو «إليشيبا»، وهي زوجة سيدنا زكريا وأم سيدنا يحيى على نبيّنا وآله وعليهما السلام، وهي بنفس الوقت - بحسب

النّصـارى – ابنـة خالة السـيدة مريم العذراء أم سـيدنا عيسـى عليهم السلام ، وقـد ورد اسـم «أليصابـات» أو إليزابيـث في إنجيل لوقـا الحالي حيث ورد: «كَانَ فِي أَيَّـام هِـيرُودُسَ مَلِـكِ الْيَهُودِيَّـةِ كَاهِـنٌ اسْـمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَـةِ أَبِيَّـا، وَامْرَأَتُهُ مِـنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْـمُهَا أَلِيصَابَـاتُ»، أما أختها الكـبرى فمـن الطبيعي أن يكون اسـمها «مـاري» أو كـما نلفظها نحن «مريـم»، كـما رُزِقَ والدهـا بعـد إليزابيـث بتوأمـين إناث، فكان اسـم الأولى «جوانـا» أو «جـوان» وهـو ترجمـة أو نقل للاسـم «يُوَنَّـا»، وهو اسم امـرأة من أتبـاع المسـيح عليه السلام ولهـا قصّـة في إنجيل لوقـا، حيث ورد: «وَيُوَنَّـا امْـرَأَةُ خُـوزِي وَكِيـلِ هِـيرُودُسَ، وَسُوسَـنَّةُ»، وأخـت جوانـا التـوأم اسـمها «جوديـث» وأصلـه «يهوديـت»، وهـو اسـم زوجـة عيسـو وهو أخ سـيدنا يعقـوب عليه السلام كما ورد في سـفر التكوين مـن العهـد القديم حيـث ورد: «وَلَمَّا كَانَ عِيسُـو ابْـنَ أَرْبَعِينَ سَـنَةً اتَّخَذَ زَوْجَـةً: يَهُودِيتَ ابْنَـةَ بِيرِي....» فأسـماء زوجتي وأخواتهـا بالترتيب: «مـاري، إليزابيـث، جوانـا، جوديـث».

قاطعتُ كلام شهاب بنبرة استغراب واستنكار:

– «لحظـة لحظة يا شِـهاب...أراكَ أصبحتَ مسـيحيّ الهوى؟ تعـرف كل هـذه التفاصيل عن أسـماء المسـيحيين وقصصهم؟ هل كان هـذا سـببه الفضـول أم أنـك تأثـرت بهـم؟».

- «لا تستعجل، فالقصة طويلة كما قلتُ لك، وهذه التفاصيل حدّثتني بها زوجتي إليزابيث، لأنها باحثة مسيحية وكانت تعمل مع الكنيسة في التبليغ المسيحي، فهي تعتبر عالمة عندهم وتعرف الكثير عن قصص الإنجيل»

- «وما الذي أتى بها إلى قُم يا شِهاب! ! !».

- «الرحلة طويلة إلى قُم يا صديقي، من الواضح أنّك مشتاقٌ إلى عش آل محمد وزيارة أخت الإمام الرضا السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام».

- «بالطبع! أشعر أن هُناك عناية قُمّيّة خاصّة أوصلتها إلى هُناك».

- «وهذا ما حدث، ولكن أرجوك أمهل القصة فرصتها، لتوضّح لك كل شيء، فكل تفصيل مهم».

- «حسنًا.. تفضّل تفضّل».

ثم إنه توقف فجأة وأخذ ينظر إلى الأفق الشرقي لثوان قليلة ثم قال:

- «لحظة يا أحمد، فالشمس قد شارفت على المَغيب،

فيجب علينا البحث عن موكبٍ في طريق المشاية للمَبيت فيه، فإن لم نجد مكانًا الآن لن نحصل على فراشٍ ننام فيه، فالطريق لا يزال طويلًا».

- «أرجوك يا شِهاب أكمل القصة كيف لي أن أرتاح الآن؟».

- «لا تقلق يا أحمد، فنحن لم نصل إلى «خان النص» بعد، ونحتاج يومًا ونصفًا تقريبًا للوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام، فلدينا الوقت الكافي للحديث عن قصة إليزابيث».

أبلَغنا أصدقاؤنا بـ«العامود» الذي توقّفنا عنده، فعادتنا في طريق المشي إلى كربلاء أن نتّفق على نقطة للتجمّع بناءً على رقم العامود واسم الموكب، فاخترنا موكبًا ووجدنا فيه فراشًا لنرتاح فيه، وكعادة أصحاب الموكب لا يتركونَكَ أبدًا، فهذا يقدّم لك الشاي العراقي الأحمر، وذاك يقدّم لكَ الطعام، وآخر يسلّيك بمغامراته المُضحكة، ويأتي كبيرهم ليحاول تدليك أقدامكَ المُتعبة من المشي.

فأصحاب المواكب يُخْجِلون الزوار من كثرة تواضعهم وخدمتهم، وقد رأينا بعض الصور التي لا يمكن أن يفهمها إلا من ذاق طعم حب الحسين صلوات الله عليه، فترى رجلًا مسنًّا

جالسًا على ركبتيه فوق الأسفلت الخشن حاملًا على رأسه صحنًا مملوءًا بالتمر وهو مع ذلك يرجو الزوار واحدًا بعد آخر رجاءَ محُتاج فقيرٍ أن يأخذوا ولو تمرةً منه، وآخر يصل إلى الزوار الماشين فيهبط إلى أقدامهم راجيًا منهم حضور موكبه لتناول العشاء، وآخر يرجونا للمبيت عنده ورابعٍ وخامِس... ونحن نرى هذه المواقف تقشعر أبداننا مما يفعل حب الحسين وكيف يتنافس الناس لينالوا شرف خدمة الحسين صلوات الله عليه بل من الذي رآه هؤلاء لكي يتنافسوا على خدمة الزوار، فإني لم أر في حياتي كلها ولم أسمع بطول التاريخ عن اجتهادٍ جماعي يعم الشيخ والطفل والكهل والشاب والقوي والضعيف والغني والفقير... وبعد كل هذا، لو سألت أي شخص من هؤلاء الذين يخدمون الزُّوّار لقالوا: إنما نحن مقصرون، والحسين صلوات الله عليه يستحق أكثر من هذا بكثير.

أذّن المؤذّن لصلاة المغرب، فأسبَغنا وضوءَنا، وصلَّينا جماعةً مع الزائرين في الموكب، ونزلت مائدةٌ جماعية على حُب الإمام الحسين عليه السلام، وتبادلنا الأحاديث مع الزائرين القادمين مِن مُختَلَف الأمصار، ولم يكُن الحديث إلا عن الذي جمَعَنا حُبُّه وهو الإمام الحسين عليه السلام، ولا أبالغ إن قلت: في كل قصة زائرٍ ستجِدُ رعايَةً وعناية إلهيّةً خاصة، لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد معاند، فمنهم من يروي لنا كيف تسهلت له الأمور وهو لا يملك أُجرة سيارة، ومنهم من يتحدث عن معجزة حصلت له في الحصول على

إجـازة من مقر عملـه ومنهم ومنهـم... وفي نهايـة كل حكاية نجبر أن نقـول: سـبحان الله، صلـوات الله عـلى المظلـوم بكربلاء..

بعـد تنـاول العشـاء تمـدّد كل منّا على فراشـه للاسـتعداد ليومٍ أربعينـي جديـد في المـشيِ نحوَ الحُسـين عليه السلام ورؤيـة وسـماع كراماتِ الحسـين التـي لا تنتهـي...

## المبيتُ في الموكب

ينـام أغلـب الـزّوّار «المشـاية» بعـد صـلاة العِشـائين ووجبـة العَشـاء مبـاشرة، فالسَّـير طـوال اليـوم مُرهـقٌ للبـدن، فيحتاجـون للراحـة ليسـتيقظوا قُبيـل صـلاة الفجر فالسَّـير يبـدأ عـادةً بعد صلاة الفجـر مبـاشرة، كأنهـم بهـذا يطبقـون مـا قاله أمـير المؤمنـين عليه السلام كما ورد في النهـج، حيـث يقـول: «ولَا تَـسِرْ أَوَّلَ اللَّيْـلِ، فَـإِنَّ اللهَّ جَعَلَـهُ سَـكَنًا وقَـدَّرَهُ مُقَامًـا لَا ظَعْنًـا، فَـأَرِحْ فِيـهِ بَدَنَـكَ ورَوِّحْ ظَهْـرَكَ، فَإِذَا وَقَفْـتَ حِـينَ يَنْبَطِحُ السَّـحَرُ أَوْ حِـينَ يَنْفَجِـرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَـلَى بَرَكَةِ اللهَّ ...»، مـع ذلـك فإنهـا ليسـت قاعـدة عامـة، فيسـتطيع المرء أن يسـمع ويـرى السّـائرين طـوال الليل يكملون مسـيرتهم المقدسـة، وكأنهم قد اكتفـوا بالقليـل من النـوم، وعندمـا كنا نسـمع حس أقدامهـم ونحن رقـود في فراشـنا كنـا نسـتذكر كلمـة أمير المؤمنـين صلـوات الله عليه: «فَعِنْـدَ الصَّبَـاحِ يَحْمَـدُ الْقَـوْمُ السُّرَى».

ولكـن في تلـكَ الليلـة لم أسـتطع النوم أبـدًا، فبـالي لا يزال مع

الكنيسة والإنجيل وإليزابيث وأخواتها وتلكَ القصة التي لم تبدأ بعد، فأثناء تمدّدنا همستُ لشِهاب مازحًا:

- «شهاب... ورد في النهج أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ والتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»، وأنا الملهوف وأنا المكروب الذي أنتظر عطفك علي وإكمال تلك القصة! أرجوك يا شِهاب..».

- «أخشى أن نزعج الزوار النائمين، يمكننا استكمال الحديث بعد صلاة الفجر حين السير، ويمكننا...».

- «ألا تستمع همس الزائرين يا شهاب؟ إنهم يحتاجون لقليلٍ من الوَقت كَي يخلدوا للنوم، فأكمل قصّتك أرجوك وأخبرني كيف وصلت امرأة مسيحية إلى قُم المقدّسة؟».

- «أحمد يا أحمد... أنت لا يهمّك سِوى قُم، حسنًا حسنًا... أينَ وصلنا في القصة؟».

- «كنتَ تتحدّث عن زوجتك المبلّغة المسيحية التي تدعو النّاس إلى اعتناق المسيحية والدعوة إلى اليسوع كما يسمّونه».

- «نعم تذكّرت... كانت مبلّغة مجتهدة اختارت التبليغ والرهبانية، ومن سلوكيات الراهبات في بعض المذاهب المسيحية

أنهن يمتنعن عن الزواج ويتفرّغن للعبادة والتبليغ، وذلك لما بلغهن من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس التي تنص على: « فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً (...) وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا (...) فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ. غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ، إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا»، وإن أبلغ وصف لهؤلاء الرهبان ما ورد في سورة الحديد: «... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ...».

فكان هذا السلوك من اعتزال الزواج تأثّرًا بذاك النص، ربما يكون بعضهم قد أساء فهم سيرة سيدنا عيسى على نبينا وآله وعليه السلام وابتدع في الدين ما ليس من الدين، فمثلا فهموا من عدم زواجه عليه السلام أن هذه سُنّة يجب اتباعها وحثوا الناس عليها، فقسّموا النساء بين التي تختار أن تخدم زوجها، وبين التي تختار أن تعتزل الناس وتكون مقدّسةً جسدًا وروحًا لخدمة الرب، وإن اختارت المسلك الأخير فلن تستطيع أن تُشركَ الزواج معه، أما بولس صاحب الرسالة التي ذكرتها لك، فلا عذر له أبدا، فهو الذي تنسب إليه معظم الانحرافات في الديانة النصرانية الحالية

وخصوصًا في العقيدة من تثليثٍ وتأليهِ اليَسوع وغيرها، فقد غَيّر وفرض فهمه على سيرة سيدنا عيسى على نبينا وآله وعليه السلام».

التفتُّ إلى شهاب وأبديت له شدة إعجابي بكلامه ثم قلت :

- «ما شاء الله، ما كل هذا العلم والمعرفة، صرت تعرف الآن الإنجيل ونهج البلاغة! أغبطك فعلا على هذه الزوجة التي تساعدك على كل هذا العلم والفهم».

ثم قلت مازحا:

- «ولكني صرت أخشى على مكانتي لديك، فأظنك ستستغني عن خدماتي في ترجمة الروايات! ما دامت زوجتك تترجم لك كل شيءٍ الآن وهي متمكّنة من اللغة العربية والإنجليزية معًا أليس كذلك؟».

سكت شهاب طويلا، وكأنه يستعيد ذكريات طويلة في باله، ثم أخذ نفسا عميقًا وقال:

- «لا تخف يا صديقي، لا أستطيع الاستغناء عنك..».

ثم أكمل مباشرةً قصّة زوجَتِه...

- «كانت زوجتي قد اختارت طريق الرهبانية هذا، فامتنعت عن الزواج، والتزمت الحجاب والحشمة وتعلقت بالله عز وجل ودينها، ونذرت نفسها للدفاع عن الديانة المسيحية والتبشير كما يسمونه، إلا أنها كانت متمرّدةً فكريًّا وفضوليّة، ولإتقانها اللغة العربية قادها هذا الدفاع والتبشير لقراءة العديد من الكتب العربية وخصوصا تلك الكتب التي تتحدث عن الفروقات بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، حيث يُعتبر العرب النصارى في أمريكا من الأقليات مقارنة بالعرب المسلمين ولذلك هم معَرَّضُون للضغط عليهم من قبل الأكثرية، ولذا كانت مهتمّة في هذا الشأن كثيرًا، وتعمقت في الخلاف المسيحي الإسلامي، ولم تُعجبها فكرة المسلمين حيث اعتبروا دينهم الإسلامي ختامَ كل الديانات ومُبطِلًا للديانات السّابقة، وقادها فضولها لقراءة الكثير من كتب النصارى العرب حول الإسلام، لتفهم الواقع الإسلامي العربي من نظرة مسيحية، لأن الكثير من المسلمين العرب يهاجرون إلى أمريكا وقد يشكّلون خطرًا على تبليغها للدين المسيحي».

- «أتدري يا شهاب، كنت أسمع عن التبشير، ولكني لم أكن أعلم بهذه التفاصيل عنه! ولم أعلم بأن هناك من يجاهد وينذر نفسه للتبشير؟».

- «كـم مـرّة قلتُ لـك يا أحمـد؟ لا تتوقع أن دينـك هو الدين الوحيـد في هـذا العـالم، فهنـاك الكثـير ممـن يريـدون انتشـار دينهـم، لـذا يجبُ عليـكَ أن تبحـث جيّـدًا عن الحـق عـبر البراهـين والأدلة، ولا تكتـفِ بتقليـد والديـك بـل اطلـب العلـم وزر العلـماء واحـضر الـدروس العقدية ليكـون إيمانـك ويقينـكَ أقـوى».

- «كلامـك عميـقٌ جـدًّا يا شـهاب، ويحتـاج إلى تأمّل، ولكن أرجـوك أكمـل القصـة الآن...».

- «كانـت زوجتـي «إليزابيـث» صادقـة في بحثهـا وقراءتهـا، وربـما كانت مصداقًا للآية الشريفة في سـورة الزمر: «الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَـنَهُ أُوْلَئِـكَ الَّذِينَ هَدَاهُـمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُـمْ أُوْلُوا الأَلْبَـابِ»، وتقفَّـت أثـر الكتـب المسيحية العربيـة التـي تتحدث عن الفكـر الإسـلامي، حتّـى وقـع ناظرها على اسـم كتـابٍ أثـار فضولها وهـو: «الحُسين في الفكـر المسـيحي» للمفكّـر المسـيحي أنطـون بارا، وربـما يجـدر بي أن أحدثـك عـن تأثير مجـرد هـذا العنوان عـلى زوجتي التـي كانـت في ذلـك الوقت مسـيحية تبحث عـن أدلة لنقـضِ براهين المسـلمين! فقـد كانـت تسـأل نفسـها: «الحسـين؟ مـن هـو الحسـين؟ لمـاذا لم أسـمع عنه مـن قبل؟ ولمـاذا في الفكر المسـيحي؟ مـن هو حتى يكـونَ لـه شـأن في فِكرنـا؟ وإن كان له شـأن، فلـماذا لم أسـمع عنه من قبـل؟، ولماذا انكـسرَ قلبي عند قِراءة اسـمِه؟ لمـاذا هذه المشـاعر المليئة

بالحُزن عند النُّطقِ بِحُروفه؟ من هو هذا الحُسين؟»، أخذ هذا الاسم مأخذه من عقلها، وشغل العنوان بالها، وحمّلت الكتاب من الإنترنت مباشرةً وبدَأَت بقراءته».

- «عجيب يا شِهاب! هل تعلم حجم المشاعر التي تهيّجها فيّ وأنا سأصل قريبًا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام بعد سيرٍ دامَ لأيّام؟ ما تقوله يشبه المعجزة، بل هو كما وصفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد عنه: «إن الحسين بن علي في السماوات، أعظم مما هو في الأرض واسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

- «أعلم تمامًا ما الذي يدورُ في ذهنك يا أحمد، إننا نتأثر بقصة اهتداء شخص على يد عالم دين بعد طول مجادلةٍ ونقاش، أما أن نسمع عن اهتداء شخص بمجرد رؤية اسم الحسين! وبعد أكثر من أربعة عشر قرنا! هذه القصة كانت تشعل في كياني الشوق لإمامي الحسين صلوات الله عليه، ولكن انتظر تكملة القصة غدًا أثناء المشي لتطلق العنان لمشاعرك مع خطواتك نحو الحسين عليه السلام».

- «أرجوك لا تقل إنك ستتوقف هنا وتترك نار الشَّوق تحرِقُني؟!».

رفع شهاب يديهِ مشيرا إلى الزوار وقال:

- «للأسف نعم، فأنت لم تلاحظ أننا نتحدث لأكثر من ساعة وكل الزوّار غطّوا في نومهم، فلا نريد أن نزعج زوّار الحُسين عليه السلام، ما رأيك في أن يقرأ كلٌّ منّا ما تيسّر من القرآن الكريم ونُهدي ثواب قراءتنا إلى الإمام الحسين عليه السلام لنوفّق في مشيِنا وخدمتنا يوم غد ونُكمل قصّتنا».

- «إلا زوّار الحُسين عليه السلام! ونعمَ الرأي رأيك، ومن الواضح أنّك تغيّرت بفضل هذا الزواج المُبارك، أذكر أني في السابق كنتُ أنا من يتحدّث أكثر ولكنّك أصبحتَ زعيم الحديث الآن يا شهاب».

- شهاب: «نعم، فقد غيّرتني إليزابيث كثيرًا»،

ثم سكت هنيئة وهو يتفكر وقال بعدها:

- «غيرتني عناية الحسين بإليزابيث».

التفت شهاب إلى حقيبته وأخرج المصحف الشريف وبدأ يبحث عن الموضع الذي كان قد وصل إليه، وهكذا فعلتُ أيضًا، وقرأنا ما تيسّر من القرآن الكريم، وبعد مدة تمدد كل منا في فراشه استعدادا للاستسلام لسلطان النوم الذي قاومناه لأكثر من ساعة مع شدة حماسنا وتفاعلنا مع القصة.

وفي هـذا الوقـت كان الهـدوء يخيـم عـلى الموكـب، وأصـوات مـشي بعـض الـزوار كانـت تصلنا كالهمـس البعيـد، نمتُ عـلى جنبي الأيمـن وصـار شـهاب مقابـلًا لي، فكنت أسـترق النظر إليـه بين حين وآخـر، وإذا بي أرى أمـرًا غريبًـا! كأني رأيـت دمـوعَ شـهاب تتسـاقط عـلى خدّيـه؟ لم أره مُنكسـرًا هكـذا في حيـاتي، ولم أفهـم سـببَ هـذا الانكِسـار، وظننـتُ أنـه تغـيّر كثيرًا عـن السـابق، وبُعده عن الحُسـين عليه السلام جعلـه مُنكسـرًا كثـيرًا في هـذه الزيـارة، فتركته على حالـه لكي لا أُعكّـر صفوَ خشـوعه.

الحسين في الفكر المسيحي
انطون بارا

## الحُسين في الفكر المسيحي

استيقظنا بسبب حركة الزوّار قُبيل صلاة فجر، وأصوات القائمين الذين لا يتركون صلاة الليل، فاستيقظنا على همساتهم في الدعاء والمناجاة، فقمنا وأسبغنا الوضوء وصلّينا ودعينا وانتظرنا أذان الفجر.

بعد أداء الصلاة كانت عادتنا أن نسلّم على إمامِ زماننا عجل الله تعالى فرجه، ومن ثمّ نشرع بقراءة دعاء العهد المعروف الذي جاء فيه عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا إلى الله تعالى أربعين صباحًا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا...»، وبعد دعاء العهد نقرأ زيارة عاشوراء قراءةً جماعية نيابةً عن إمامِ زماننا أثناء سَيرِنا نحوَ الإمام الحسين عليه السلام، وينتهي البرنامج عند شروق الشمس ويبدأ الحديث الذي يحبّه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الذي ورد عنه أنه قال للفضيل: «تجلسون وتتحدثون؟ فقال: نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، رحم الله

مَـن أحيـى أمرنا ».

ثمّ طَلَبتُ من شـهاب اسـتكمال الحديث الشـيّق عـن إليزابيث وقصّتهـا، ولم يتأخـر هـذه المـرة فقـد شرع مبـاشرةً في الحَديـث قائلًا:

- «كان لكتـاب الحُسـين في الفكر المسـيحي الأثـر الكبير على إليزابيـث، حيـث إن الدكتـور أنطون بارا انهـال عليهـا بالصَّدمات في السُّـطور الأولى حـين ابتـدأ كلامـه بـ»بسـم الله الرحمن الرحيـم» وهو شـعار المسـلمين، ولكن الكاتب مسـيحي بامتياز، ثم تنتقل إلى السطر الثـاني لتقـرأ: «الثـورةُ التـي فجَّرَهـا الحسـين بن عـلي عليه وعـلى أبيه أفضل السـلام في أعـماق الصدور المؤمنـة والضمائر الحـرة»، فتقول في نفسـها: لمـاذا يقـول مسيحي عـن شـخص مثل الحسـين المسـلم عليه وعـلى أبيه السـلام؟

ثـم تقـرأ: «لأنَّ الفكـر المسـيحي ما هـو إلا جـزء من الفكر الإنسـاني، ولأن المسـيحية...»، فتقـول في نفسـها: «الكاتـب إذن مسـيحي؟» ثم تقـرأ: «وهكـذا كان الإسـلام خاتـم الديانـات، والرسـالة المحمديـة خاتمـة النبـوات ...»، فتقـول في نفسـها: «الكاتـب إذن مسـيحي وقد أسـلم؟» ثـم تقـرأ الجملـة التـي ثَبَّتَـت حيرتهـا، وزادَت إصرارَها على إكـمال الكتـاب والاهتـمام بـه أكثـر فأكثـر، حيـث قـرأت في المقدمـة ذاتهـا: «مؤلـف الكتـاب الفقـير لله «مسـيحيٌّ عـربيّ» فكانـت هـذه الصفـة مكمنـا إضافيّـا لجِدّيّـة البحـث ...»، فقالت في نفسـها بعد أن

اطمأنت: «إذن الكاتب مسيحي ولا يزال مسيحيًّا»، ومع هذا يكتب عن هذه الشخصية ويسميها بـ»سيد الشهداء»، وهكذا استمرت زوجتي... تتوقف في كل سطر بل في كل كلمة، تطير معها في سماء عالية بعيدة، وكأنها كانت ترافق عيسى عليه السلام الذي «رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» وفي بعض الأحيان تشعر وكأنها تبحر في بحر لجي عميق، أمواجه عالية عاتية، وأعماقه غامضة، ولكنها لم تكن تشعر بأي خوف أو تردد، بل كانت تبحر واثقة مطمئنة... ولم يمهلها الكاتب لتأخذ أنفاسها، بل قال مباشرة بالفقرة التالية: «النظر لملحمة كربلاء من وجهة نظر مسيحية لكاتب مسيحي عربي، لا هو بمسلم كي يقال بأنه متأثر عاطفيا بالفاجعة التي وقعت فوق ثرى الطَّف، ولا هو بمستشرق صاحب فكر غربي ينظر إلى التاريخ الإسلامي نظرته إلى أية مرحلة تاريخية أخرى، لا تُخْشِعُه خلالها أية قُدْسية من قُدْسيات آل البيت «ع» فلا يرى من خلال عدم الخشية هذا... إلا الجانب السردي، مهملا عن عمد أو جهل، الكثير من المقومات الروحية والإلهية للحركة من جانبها العلوي القدسي».

ثم تقرأ بعدها وهي منبهرة خاشعة، فلم يمنعها الانبهار من الخشوع بل زاده، ولم يمنعها الخشوع من الانبهار بل عمقه فتقرأ: «فالفكر المسيحي العربي يقدِّس آل البيت عليهم السلام كما المسلم»، فتتساءل بكل خشوع وحب: من هم آل البيت عليهم السلام الذين يتحدث عنهم هذا المفكر المسيحي بكل هذا التقديس والاحترام؟ ولِمَ لَمْ

أسـمع بهـم طـوال هـذه الفترة؟

ثـم تـترك الكتـاب لتسـبح في سـماء الفكـر والتدبـر، فتشـعر بلطـف وعنايـة خاصة من الله تبـارك وتعالى وكأن هـذا التفكر والتدبر كالصـلاة والمناجـاة، ثـم تعـود للقـراءة النهمـة لتقـرأ: «فشـخصية الحسـين محيطٌ واسـع مـن المُثُل الأدبيـة والأخـلاق النبويّـة... ولعلنا نتمثّل أهـم سـمة مـن سـمات العظمـة في هـذه الشـخصية مـن قـول جـدّه الرسـول: «حسـينٌ منّـي وأنـا مـن حُسـين»، ارتقـت إنسـانية السـبط إلى حيـث نبـوة الجد..»، مـن هُنا فهمـت إليزابيـث القرابة بين الحسـين ورسـول المسـلمين وأنـه سـبطه، والسـبط في اللغـة يعني ابن البنـت، ولأنهـا أتقنـت قواعـد اللغـة العربيـة مـن والدها فلـم تواجه مشـكلة في تفكيـك العبـارات، وكانـت تقـرأ بدقّـة وعنايـة شـديدة، ولكنهـا كانـت متفاجئـة من الحـروف الأولى في هـذه العبـارة لأنطون بـارا، الـذي كان يتحدّث بشـغف عن الحسـين، وفي كل مـرة تقرأ فيها هـذه الحـروف الأربعـة: حاء سـين يـاء نـون، تشـعر بانكسـارٍ فطريّ غريـبٍ جـدًّا، وكان هـذا الانكسـار هـو مـا قادهـا إلى الاسـتمرار في القـراءة، إلى أن وصلـت إلى كلمـة في مقدّمـة الكتاب قصمـت ظهرها وهي:«المسـيح... هـل تنبّـأ بالحُسـين؟»، انبهـرت إليزابيـث مـن هذا السـؤال، وسـألت نفسـها: «هل مـن الممكن أن يكون المسـيح قـد تنبّأ بصاحـب هذا الاسـم؟»

تأثـرت كثـيرًا عندما تحدّث أنطـون بارا عن الكلـمات الأخيرة ليسـوع قُبيـل موتـه - بمعتقـد المسـيحيين - وعـن قصـده حـين قـال كـما يُـروى في إنجيل يوحنّـا: «إني ذاهـبٌ الآن إلى الذي أرسـلني، وما مـن أحـدٍ منكـم يسـألني إلى أيـنَ تذهـب؟ غـيرَ أني أقول لكـم الحق، مـن الخـير لكم أن أمـضي، فإن لم أمـضِ لا يأتكـم المُؤَيَّد..» وأشـغلت إليزابيـث كلـمات أنطـون في تسـاؤلاته عـن هويّة هـذا «المؤيّـد» الذي يتحـدّث عنـه المسـيح في الإنجيـل، وهـل المقصـود هُنـا هـو محمـد؟ رسـول الإسـلام؟ الذي كـبرت إليزابيث عـلى الطّعـن في صدقه! هل مـن الممكـن أن يكـون المسـيح قد تحـدّث عنـه وبـشّر بقدومه؟

كنـا طـوال هـذه المـدة نسـير في طريقنا وشـهاب مسترسـل في سرد تفاصيـل حكايتـه التـي كان يرويها بـكل تأثر واندمـاج بها، حتى كان في كثـير مـن الأحيـان يغير نـبرة صوته ليتناسـب مـع الجملة التي يقولهـا، فيقولهـا بنـبرة تعجـب أو اسـتفهام أو حـيرة... وعندمـا كان يصـل إلى نقـل بعـض النصـوص كان يخـرج هاتفـه النقـال مـن جيبه ليقـرأ مـن النـص الذي حفظه كـما نقلته زوجتـه كما يبـدو أو كما بحث هـو، ومـع أني كنت مندمجـا لأبعد الحـدود في الحكايـة وحلَّقت معه في سـماء تفاصيلهـا، لكنـي انتبهـت لحفظـه النصـوص في هاتفـه النقال، وتأثـرت كثـيرا بهـذا المنظـر، فقلـت مقاطعـا إياه:

- «في الحقيقـة أنـا أغبـط زوجتـك عـلى حب زوجهـا العميق

لهـا، فأنـت تحفـظ التفاصيـل وترويهـا كأنهـا حياتـك أنـت، وتحتفـظ بالنصـوص المهمة في هاتفك! ما أسـعدها بزوج صالـح محب مثلك».

بمجـر د أن أنهيـت كلامـي، غابت ابتسـامة شـهاب، وتحولت إلى ملامـح لا أعـرف تفسـيرها.. فقـال:

- «الحمـدلله رب العالمـين على كل نعمة، وعـلى كل حال دعنا نعـود لمـا كنـا فيـه فهـو المهـم وهـو المفيـد...

وصلنـا إلى أن المؤلـف قـال في مقدمة كتابه: «مـن هو المقصود بالمؤيّـد؟ أليس الرسـول محمـد «ص» هـو الجدير بهذا القصـد؟» وهو يريـد إثبـات ذلـك، وكيف تلقـت زوجتـي هـذا الأمـر كالصاعقة أو الزلزلة.

هُنـا بـدأت زوجتـي إليزابيـث في التأمـل في لفـظ كلمـة الإنجيـل، الاسـم الـذي عُـرب مـن كلمـة EUAYYEYIOV اليونانية، التـي تعنـي «البُـشرى الحَسَـنة»، وبـدأت تفكّـر في احتمالية أن المسـيح عليه السلام قـد بُعِثَ ليبشّر! هل من المعقـول أن تكون إحدى مهام اليسـوع أن يبشّر بنبـيّ بعده كانـت إليزابيث تحـاول إنكاره وتكذيبـه؟ وبدأت تقـارن نفسـها باليهود، الإنجيل ينقسـم إلى قسـمين: الكتـاب المقدّس «العهـد القديـم» والإنجيـل «العهـد الجديـد»، ويعتقـد النصـارى أن رسـالة اليسـوع هي مكمّلة لرسـالة الكتـاب المقدّس «العهـد القديم»

التي أتى بها نبي الله موسى عليه السلام، وكانت هذه المعلومات جزءًا من تبليغ إليزابيث المسيحي، وكانت تثبت لليهود ما في الكتاب المقدّس بأن نبي الله موسى عليه السلام كان يبشّر بقدوم المسيح، إلا أنهم رفضوا هذا الادّعاء، بقولهم إن هذه البشارات لا تنطبق على اليسوع! وهذا بالضبط ما قامت به إليزابيث مع نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت تقرأ كثيرًا في النقاشات المسيحية الإسلامية أن اليسوع قد بشّر بمحمد نبي الإسلام إلا أنها كانت ترفض هذه الفكرة فقط لتعصّبها لدينها!

هل نمتَ وأنتَ تمشي يا أحمد أم ماذا؟ لا أراك تقاطعني أبدًا؟!»

- «يا شهاب لا تفسد القصة أرجوك أكمل أكمل، فلا أذكر أنني تفاعلتُ في حياتي في قصّة مثل تفاعلي مع قصة إليزابيث، وأنا متفاجئ من تطوّرك العلمي الملحوظ! فالآن أنت تتحدّث في تفاصيل الأديان والبشارات السماوية، وهذا بحثٌ عقائديٌّ عميق ندرسه في إثبات النبوّة من الكتب السماوية الأخرى، ولا يتقنه إلا الطالب المجتهد».

- «قلتُ لك يا أحمد إن إليزابيث غيّرتني كثيرًا، فلحُسنِ حظّي أنها عربية الأصل متقنةٌ للغة الإنجليزية، فعربيّتي ضعيفة

جـدًّا ولا أسـتطيع دراسـة هـذه المطالـب العقائديـة وحـدي، ولكـن لا تسـتبق الأحـداث، دعنـي أُكمـل وسـأُحاول الاختصـار حتى ولو كان الحديـث عـن الإنجيل وبشـاراته شـيّقًا جدًّا، ولكنـه بحثٌ طويل تخصّـصي يحتـاج إلى وقـت طويـل ودقـة في الاسـتدلال والـشرح».

- «نعـم صحيـح، عـلى الرغـم مـن أن البحـث شـيّقٌ جـدًّا إلا أنـه تخصـصي ولكـن أرجـوك أكمـل القصـة وحـاول أن لا تختصر كثـيرًا».

- «حسـنا سـأحاول... كانت الرحلة في مقدمة كتاب الحسين في الفكـر المسـيحي شـيّقةً وجاذبةً كثيرًا بالنسـبة لإليزابيـث، حيثُ إن أنطـون بـارا كان يركـز أيضًـا عـلى قصـة تدويـن الإنجيـل والفرق في الأسـلوب بـين أناجيـل متّى ويوحنّـا ومرقـس ولوقا، وتحـدّث بشيءٍ مـن التفصيـل عـن الأسـباب الرئيسـة في اختـلاف اللغة والأسـلوب وتدخّـل الزمـان والمـكان في هـذا الاختـلاف، وفي كل سـطرٍ كانـت إليزابيـث تتأمّـل فهمهـا للإنجيـل وللدين المسـيحي، فعـلى الرغم من كونهـا باحثـة مسـيحية متخصِّصـة إلا أنها طوال مشـوارها التبشـيري كانـت توجـه كلامها للنـاس وليـس لنفسـها! باعتبار أنها قـد اهتدت ووصلـت إلى قمة الإيـمان والرهبنـة! فالمعلومات التـي تحفظها لم تكن تسـتخدمها للبحـث عـن الحـق، أو عـن إثبـات الديـن المسـيحي في نفسـها، بـل كانـت منشـغلةً فقـط في إقناع النـاس، كأنهـا مُلَقّنـة تنقل

معلومـات لا تفهـم روحها، وهذه المشـكلة نواجها في أغلـب المبلّغين في جميـع الأديـان، ومـا أنقـذ إليزابيـث كان صـدق نيتهـا الخالصـة لله تبـارك وتعـالى، «وَمَـا كَانَ اللهُ لِيُضِيـعَ إِيمَانَكُـمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّـاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» .

ومـن التعليقات التي زعزعـت يقينَ إليزابيث بالمسيحية أثناء استمرارها في قـراءة المقدّمـة هـو عندمـا تحـدّث أنطـون عـن إحـدى البشـارات في التـوراة ونصّهـا: «جَـاءَ الـرَّبُّ مِـنْ سِـينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِـنْ سَـاعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِـنْ جَبَلِ فَـارَانَ»، فمن غير الدخـول في تفاصيل البحـث التخصـصي الاسـتدلالي الـذي فصّلـه تقريبًا أنطـون نقول إن مجيء الرب من سـيناء يُشـير إلى موسـى عليه السلام، والإشراق من سـاعير إشـارة إلى عيسـى عليه السلام، والتلألـؤ مـن جبـل فـاران إشـارة إلى ظهور النبـي محمـد صـلى الله عليه وآلـه حيث إن التـوراة تطلق تسـمية فاران عـلى أرض الحجـاز «مكـة» التـي ادّعـى محمـد صلى الله عليه وآله وسلم النبـوّة فيها.

وهُنـا فهمـت إليزابيـث أن المشـكلة لم تكُن في قراءتهـا للكتب السـماوية، أو في تداولهـا وتفسـيرها، بـل المشـكلة كانت أنهـا لم تُرِد أن تفهـم شـيئًا غـير الـذي كـبرت ونشـأت عليـه، فالتعصّـب الأعمـى أبعدهـا عـن النظـر بوضـوح إلى حقيقـة النبـوءات والإشـارات، وعندمـا انتقـل أنطـون إلى إثبـات فكـرة «التوحيـد» مـن الإنجيـل، ورفضـه لفكـرة التثليث المؤوّلـة خطًا، وهـذا ما جعـل إليزابيث تتّخذ

قـرارًا في إعـادة النظـر في كل ما كانت تؤمن به سـابقًا، وهـي على يقينٍ بأنهـا تملك المؤهـلات للبحـث والتحرّي عـن الحقيقة، فهـي باحثة في الديانـة المسـيحية ومبلّغة لـذا فخزانتها كبيرة، وهي متقنـة للغة العربية وقواعدهـا، فمـن السـهل عليها دراسـة الإسـلام «العـربي»، فقرّرت أن لا تتوقّـف عـن البحـث حتـى تـرى الحقيقـة وتنطـقَ بهـا جهرًا.

لم يمنعهـا قرارهـا مـن الاسـتمرار في قـراءة مقدمـة الكتـاب الـذي زعـزع يقينهـا، فأكملـت حتى عـادَت إلى سـؤال البدايـة الذي صاغـه أنطـون بهـذا النـص: «لمَ الحُسـين بالـذات دون سـائر أعـلام الإسـلام موضوعًـا للكتـاب؟»، سـؤالٌ سـأله أنطـون نيابـةً عـن إليزابيـث، فعـلًا لمـاذا هـذا الاسـم بالـذات؟ هـل يجرؤ فعـلًا أنطون عـلى إثبـات أن المسيح قـد قصـد الحُسـين عليه السلام مبـاشرةً بعـد أن بشّر بالنبـي محمـد صلى الله عليه وآله وسلم؟ مـن هـو هـذا الحُسـين؟

وكانـت الصدمـة الكُـبرى لإليزابيـث عندمـا قـرأت هـذه العبـارة: «أيرفـضُ مطلـقُ إنسـانٍ - لا سـيما إذا كان مسـيحيًّا - أن يكـونَ ذلـك المؤمـن الـذي ترقـد في قلبـه حـرارة قتـل الحسـين التـي لا تـبرد أبـدًا... ومـن ذا الـذي لا يحـبُّ مظلومًـا كالمظلوم الحُسـين؟» قالـت إليزابيـث في نفسـها: «قتـل؟ حـرارة؟ لا تبرد؟ مظلـوم؟»، كل هـذه الأسـئلة دارت في ذهنهـا، بـل كأن المؤلـف يقرأ كلماتها وليسـت هـي التي تقـرأ كلماته! وتسـاءلت عن حقيقة الانكسـار التي تشـعرُ به

عنـد النّطـق باسـمه، فهل يـا تُرى تجد في قصّـة هذا الحسـين إجابةً على هـذا اللغز؟».

ثم التفت شهاب إليّ وأقبل بوجهه عليّ قائلا:

- «لعلـك يـا أحمـد لـن تصدقنـي إن قلـت لـك إن هـذه التفاصيـل هـي بالضبـط كـما روتهـا لي زوجتـي، وإني أنقلهـا لك الآن وكأن ذلـك شريـط مصـور يمـر عـلى ذاكـرتي!».

ثم اسـتعبر شـهاب من الموقف وسـكت قليلا ومسـح دموعه بكفيـه اللتـين غمرهمـا غبـار زوار الحسـين صلـوات الله عليـه، وفي الحقيقـة لم أملـك نفسـي أنـا أيضا وجـرت دمـوع عيني من غـير إرادة

وبعـد برهـة قصـيرة سـاد سـكوتنا معًا لنسـمع نعـي المواكب المسـتمر، ثـم قطـع شـهاب السـكوت وقـال:

- «وفي ختـام مقدمـة أنطـون التـي أفصـح أنـه كتبهـا بعـدَ ثلاثـين عقـدًا مـن كتابة الكتـاب ونـشره قـرأت إليزابيث: «فهـو ذبحٌ فـدا البشريـة جمعاء، وصـانَ دين الله الواحـد من الانتهـاك، وهو ذبيح أرسـى للبشريـة مجدها الـذي ترتـع في نعمتـه الآن، وإلى أبـد الدهور، ويأبـى الله إلا أن يتـم نـوره ولـو كـره الكافـرون»، ومـا إن انتهـت مـن قـراءة هـذه الكلـمات إلا وهـي تجـد دموعهـا تتقاطـر فطريًّـا على

وجنتيهـا، وتسـأل نفسـها: «لمـاذا أبكـي؟ لمـاذا جرحتني كلمـة ذبيح؟ لمـاذا أبكـي عـلى رجـلٍ لا أعـرف عنـه إلا حـروف اسـمه؟!».

## دموع إليزابيث

«لمـاذا أرى دموعـك يا أحمـد؟ فإن القصـة لا تـزال في البداية، والدمـوع والبُـكاء محلّهـا».

- «لا تلمنـي يـا شِـهاب، فأنـا لا أبكي عـلى قصـة إليزابيث، ولا عـلى كلـمات أنطـون بـارا، ولكـن كلمـة «الذبيـح» كـسرت قلبي وأسـالت دموعـي، أبكـي لمـا جـرى عـلى سـبط رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبكـي عـلى نفسي لبُعـدي عن سـيد الشـهداء، أنظـر إلى المسـيح كيف اهتمّـوا بالحُسـين عليه السلام وبكـوا عليـه، ونحـن مـن أمـة جـدّ الحُسـين! كيـف ضيّعنـا حياتنا وانشـغلنا عنـه؟ أرجوك دعنـي أبكِ عليـه وأنتَ أكمـل قصّتـك، فبفضلهـا سـتكون زيارتي هـذا العـام مختلفـةً تمامًا إن شـاء الله».

- «نعـم، لم ولـن نعـرف قـدر الإمـام الحسـين عليه السلام، لـذا سـأكمل لـكَ القصة، علّهـا تعطينـا الهمّة لخدمتـه وإحياء ذكـراه، على

كل حـال، لم تهتـمّ إليزابيـث بشيء مثـل اهتمامها بقصة الإمام الحسـين عليه السلام، وقـد فصّـل أنطون بـارا في ٦٠٠ صفحة من كتابـه ما جرى على الذبيـح، وكيـفَ قُتِـلَ شرّ قتلـة، وحَرَمـوا مـن كان سـيّدًا عليهـم مـن المـاء، بل حرمـوا النسـاء والأطفال أيضًـا، وذبحوه بلا رحمـة، فكانت إليزابيـث تقـرأ وتبكي على الحسـين عليه السلام بـكاءً شـديدًا دون توقّف».

لم أتمالـك نفسي ووقفـت في مكاني ووجدتنـي أصرخ لا إراديا بصـوت مسـموع وأردد تلك الكلـمات المروية عن جبـل الصبر زينب سـلام الله عليها: «بـأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشـان حتى مضى، بـأبي مـن شـيبته تقطر بالدمـاء، بأبي مـن جده رسـول إله السـماء، بأبي مـن هـو سـبط نبـي الهـدى ...»، وانتابتنـا أنـا وشـهاب وبعـض من كان حولنـا موجـة بكاء بحرقـة وألم امتـد لبعض الوقت إلى أن سـكن نشـيجنا، ثـم مضينـا صامتـين لا يريـد أحـد منا الابتـداء بالـكلام من شـدة تأثرنـا بهمـوم ذلك السـيد الذبيـح صلـوات الله عليـه، الذي ما ذكـره مؤمـن إلا اسـتعبر، وبعد برهة مـن الزمن، قال شـهاب بصوت خاشـع متقطـع: «دعني أكمـل لك تلـك الحكاية، ونحـن الآن في أيام عـزاء الحسـين صلـوات الله عليه، لعل الله تبـارك وتعـالى أن يكتبنا من المعزيـن لبضعـة الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم فاطمـة صلـوات الله عليهـا، فهـي صاحبـة العـزاء اليـوم»، ثـم أخذ نفسـا عميقـا يتقطـع من أثـر البكاء وقال:

- «لما وصلت إليزابيث إلى تفاصيل مقتل الحسين صلوات الله عليه، فتقرأ في أول فقرة في الفصل: «قام الشهيد الحسين «ع» في صبيحة اليوم العاشر فصلى بأصحابه صلاة الصبح، ثم قام بهم خطيبا فقال: «إن الله تعالى قد أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال»»، فتصيبها قشعريرة تشل بدنها بأكملها وتقول: «يا إلهي! هم يعرفون مصيرهم المحتوم ويتقدمون!» ثم تقرأ: «وأحاطته جيوش عمر بن سعد. فلما رأى «ع» كثرتهم رفع يده إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْب وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّة وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّة»»، فتقف مستسلمة خاشعة أمام هذه الكلمات النورانية، وتستحضر في ذهنها بعض فقرات زبور داود عليه السلام، لتقول في نفسها: «يا إلهي، إن هذا الدعاء مع اختصاره الشديد فهو يفوق كل أدعية الزبور رقة وتأثيرًا وعمقًا»، فتتيقن أنها أمام شخصية إلهية مقدسة مطهرة زكية نقية! إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتجاهل المرء نورانية هذه الكلمات!

ثم تستمر بالقراءة لتصل إلى: «وخطب في الجيش خطبته الأولى، فلم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه (...)، ثم طلب منهم أن ينسبوه من هو... ويرجعوا إلى أنفسهم يعاتبوها وينظروا، هل يحل لهم قتله وانتهاك حرمته (...)، طلب منهم أن يدَعوه ينصرف عنهم إلى مأمن في الأرض... فقالوا له: «أولا تنزل

على حكم بني عمك»، فرد الحسين: «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»»، ثم تسرح في سماء الحسين صلوات الله عليه لتجد نفسها لا إراديًّا تخضع بخشوع لا مثيل له في حياتها لهذه الشخصية العظيمة، فتردد كلامه عليه السلام مرات ومرات بدون كلل أو ملل: «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»!

تردد هذه الكلمات وكأنها تردد أنشودة أو ترانيم حزينة، وتقول وحرقة الألم تعصر قلبها: «إن لكلامه هذا حلاوة لا أستطيع إنكارها!»، ثم تستمر في سماء كربلاء فتقرأ...: «صاح وهو يقبض على شيبته المقدسة صيحته الداوية في عمر الدهور: «أما من مغيث يغيثنا... أما من ناصر يعيننا... أما من طالب حق ينصرنا...»»، فتجد نفسها تنادي والبكاء قد أخذ منها مأخذه: «بلى يا حسين... لبيك... أنا أغيثك أي مظلوم.... أنا أنصرك أي عطشان... أنا طالبة حق أعينك أي قديس ...»، ثم تعود إليزابيث إلى القراءة في عنوان جديد: «أهل البيت في الميدان» فتقرأ عن استشهاد ابن الإمام الحسين علي الأكبر بمرأى من أبيه، فينقل المؤلف: «ولما قطعته السيوف، انحنى الحسين فوقه واضعا خده على خده وهو يقول: «على الدنيا بعدك العفا»».

ثم تأتي إلى المصيبة الكبرى، والفاجعة العظمى، استشهاد

المولى أبي عبدالله الحسين، فتقرأ ما يذيب القلب وتجزع له النفس: «ظل الحسين عليه السلام وحيدا في الميدان بين أهله وأصحابه المجزرين كالأضاحي المذبوحة المشوهة (...) ، ثم ودع عياله وطلب ثوبا لا يرغب فيه أحد، ودعا بولده الرضيع يودعه... فجيء به فحمله وأتى به القوم يطلب له الماء إلا أن الخسة المستوطنة في جند عبيد الله دفعت بحرملة بن كاهل الأسدي لأن يرمي الرضيع الصغير بسهم فيذبحه في الحال، فتلقى الحسين دمه بكفه ورمى به نحو السماء، فلم تسقط منه قطرة واحدة. وسمع قائلا يقول: «دعه يا حسين فإن له مرضعا في الجنة»»، وتقول زوجتي: «ومع أن فاجعة الطفل الرضيع كادت أن تقتلني من شدة الحزن والألم، إذ كنت أستحضر صورة الحسين المظلوم وهو يحمل فلذة كبده هذا الملاك الذي لا يمكن أن يكون له ذنب ثم يراه مذبوحا ودماءه تسيل على كف أبيه، لكنني لم أكن أستطيع التوقف بدون أن أعرف ما جرى على ذلك المظلوم المقهور العطشان ..»، أكملت القراءة إلى أن وصلت إلى مصيبة المصائب، فينقل المؤلف: «فعطش فطلب الماء فأبى عليه الشمر ذلك، ورماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته(...) ، فرماه آخر بسهم ذي ثلاث شعب وقع على قلبه فقال عليه السلام : «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله» (...) ، ثم أخذ من دمه الذي كان يشخب كالميزاب ولطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: «هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مخضب بدمي».

وهجموا عليه كالضباع المفترسة، فضربه... على كتفه، ورماه... في حلقه، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه... في ترقوته، ورماه بسهم في نحره وطعنه... في جنبه»، وقرأت تلك التفاصيل الدقيقة التي يذكرها المؤرخون بعد أن سقط على الأرض وبه رمقٌ من الحياة، وكان أول من أراد قتله هو شبث بن ربعي وبيده السيف فدنا منه ليحتزّ رأسه، فرمقه الحُسين عليه السلام بطرفه، رمى بعدها السيف من يده وولّى هاربًا وهو يقول: «ويحك يا ابن سعد، تريد أن تكون بريئًا من قتل الحسين وإهراق دمه، وأكون أنا مُطالبًا به؟»، فأقبل سنان بسيفه، وما إن رمقه الحُسين عليه السلام بطرفه حتى ولّى هاربًا وصاح: «إنه فتح عينيه في وجهي فأشبهتا عيني رسول الله، فاستحيت أن أقتل شبيهًا لرسول الله»، فأقبل عليه شمر لعنه الله وصاح: «لأقتله سواء شبه المصطفى أو علي المرتضى»، وركب على صدر الحسين عليه السلام فلم يرهب منه! فسأله الحُسين روحي فداه: «من أنتَ؟ فلقد ارتقيتَ مرتقىً صعبًا طالما قبّله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أجاب: «أنا الشمر الضبابي»، فسأله الحسين: «أما تعرفني؟» فقال اللعين: «بلى، أنت الحُسين وأبوك المرتضى وأمك الزهراء وجدك المصطفى وجدتك خديجة الكبرى»، فسأله الغريب عليه السلام: «ويحك إذ عرفتني فلمَ تقتلني؟»، وأجاب اللعين: «أطلب بقتلك الجائزة من يزيد»، فسأله التريب: «أيهما أحب إليك، شفاعة جدي أم جائزة يزيد؟»، فأجاب بكل وقاحة وخِسّة: «دانقٌ من جائزة يزيد أحب إلي منك

ومن شفاعة جدك وأبيك»، فاستسقاه العطشان: «إذا كان لا بد من قتلي فاسقني شربة من الماء؟»، فقال لعنه الله بعدد أنفاس الخلائق: «هيهات هيهات، والله ما تذوق الماء أو تذوق الموت غصة بعد غصة وجرعة بعد جرعة» إلى أن قال: «والله لأذبحنّك من القفا ثم أكبَّه على وجهه الشريف وجعل ...» واحسيناه!!

عرفَت إليزابيث سبب انكسارها الأول عند قراءة اسم الحسين عليه السلام للمرة الأولى، فهو الاسم الذي شاء الله أن لا يذكره مؤمن إلا بكى واستعبر، وهُنا توقّفت إليزابيث عن القراءة، وانشغلت بالبُكاء على الذبيح عطشانًا على شاطئ الفرات، ولم يهمّها بحث أنطون بارا، فكلّ همّها كان تلكَ المُصيبة الذي أشعلت قلبها نارًا، ولم تكلّم أحدًا في ذلك اليوم، إلى أن جَنَّ عليها الليل، فتمدّدت على فراشها وهي تبكي بكاءً شديدًا، وتُخاطب الإله الواحد الفرد الصمد:

- «يا رب، ما الذي صنعه الحُسين بقلبي؟ فقد ضُرِبَ قلبي بحبّه! وأفجعتني مصيبته، أرجوك يا رب، بحقّه وبحق غربته ووحدته أرني الحقّ لأتبعه، عرّفني بالحسين، عرّفني بدين الحُسين»، ونامت يا أحمد وهي تبكي الحُسين عليه السلام، وتسأل الله بحق الحسين أن يدلّها على طريق الحق الذي سيُنجيها، سألته أن يدلّها على مرسى سفينة الحُسين عليه السلام، سألته أن يكون دينها دين الحُسين، ربما رب

الحسـين، سـألته معرفـة الحُسـين، ونامت عـلى هذا الدعـاء!».

كان شِـهاب يـروي لي قصّـة إليزابيـث وأنـا أبكـي وأمشي إلى الحُسـين عليه السلام، وأدعـو الله جلّ جلاله بدعائها وأنـادي: «يـا رب عرّفنـي الحُسـين عليه السلام».

## دعاء إليزابيث

أكمل شِهاب قصة إليزابيث وأنا أستمع إليه وأبكي:

- «نامَت إليزابيث بعد أن دعت بهذا الدعاء، وإذا بها في عالم الرؤيا..».

سَكَتَ شهاب بعد هذه الجملة، وعيوني لا تزال تقطر دموعًا، ثم أكمل وقال:

- «وإذا بها.. ترى امرأةً عظيمة، لا يُرى وجهها من النور، سألتها: «يا إليزابيث... أتحبّين أن تعرفي من هو الحُسين؟»،

فأجابتها سريعًا: «نعم، أرجوك عرّفيني به، ومن أنتِ؟ هل تعرفينه؟»

فقالت لها هذه السيّدة: «نعم... فهو جدّي المذبوح من القفا...»،

فسـألتها إليزابيـث: «أرجـوك يـا سـيدة، دلّيـني عـلى طريـقٍ لمعرفـة جـدّك؟»

فأجابتها السيدة: «اذهبي إلى جوار قبري، فالجواب هُناك»،

سألتها: «أين قبرك؟»

فأجابتهـا: «في قريـةٍ يُقـال لهـا قُـم، فهـي سَـكَنٌ وأمـانٌ لأتبـاع جدّي الحُسـين عليه السلام.

أصابتني قشعريرة في بدني كله وقلت:

- «شهاب...!!!».

- «نعـم يـا أحمد، هـي مـن دلَّتْها على نفسـها، وأجـاب الله .. دعاءهـا، وكانـت إجابتـه على لسـان السـيدة فاطمـة المعصومة عليها السلام، ففزعـت مـن النـوم مرعوبـة، جُـنَّ جنونهـا مـن هـذا المنـام، وبـما أنها باحثـة، لم يصعـب عليهـا البحـث عـن قريـة قـم، وعلمـت أنهـا قريةٌ معروفـة عند الشـيعة، وعادتهـم أن يطلبوا علوم دينهـم هناك، فقررَّت الذهـاب دون تـردد.

ولا يخفـى عليـكَ يـا أحمـد أن إليزابيـث كانت راهبةً مسـيحية تحمـل جواز سـفرٍ أمريكـي، فكيف لهـا أن تُقنع أهلها بالسـفر وحدها

إلى هنـاك؟ وكيـفَ لهـا أن تتحـدّث عن كونهـا مـترددة في دينها؟ كيف وهـي المبلّغـة المسـيحية الشـابة المعروفـة في منطقتهـا، وكيـفَ لهـا أن تحصـل عـلى تأشـيرة الدخـول لإيـران بجوازهـا الأمريكـي؟».

- «﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، لا تسـألني أي سـؤال يـا شِـهاب، أرجـوك أكمـل القصـة...».

- «حسـنًا... في اليـوم التـالي، ذهبـت إلى أحـد مراكز الشـيعة الموجـود في ولايتهـا، وسـألتهم عن قُم المقدّسـة، ولكنهـم في البداية لم يعيروهـا أي اهتـمام حيث إنهـم رأوا الأمـرَ مريبًا جدًّا، مـا الذي تريده راهبة من سـؤالها عن قُـم؟ وفي المركز رأت امرأة ترتـدي عباءة الرأس السـوداء، فنادتهـا وطلبـت منها المسـاعدة وقالت: «أنتِ ترتدين لبسًـا شـبيهًا بلبـاس الراهبات الـذي أرتديه، فأظنّـك امرأة متعلّقـة بدينكِ، فهـل لكِ أن تسـاعديني في الوصـول إلى قُم؟»، فأجابتهـا: «قم؟ ولماذا تريديـن قُـم وأنـت راهبة مسـيحية؟»، فأجابـت إليزابيـث: «إنها قصّة طويلـة، أرجـوكِ أن توصليني إلى قُم وسـأقول لـكِ كل شيء»، فقالت لهـا: «لدينـا الوقـت بطولـه، فعلى كل حـال أعتقـد أنـك أمريكية، ولا يسـهل حصولك عـلى تأشـيرة دخول إلى إيـران، فأنـا إيرانية الجنسـية مبلّغـة مبتعثـة مـن جامعـة المصطفـى في قُـم واسـمي زينـب»، مـا إن سـمعت إليزابيث باسـم قُم حتـى انهالت عليهـا بالأسـئلة: «أنتِ من قُـم؟ هـل تعرفين أهلهـا؟ وإن كنتِ مبلّغـة فأنتِ تسـتطيعين التواصل

مـع حكومتك لإدخـالي إلى إيـران صحيح؟».

احتـارت زينـب في حـال هـذه الراهبـة، وحاولـت تهدئتهـا، وقالـت لهـا: «نعم، أسـتطيع أن أجـدَ لـكِ طريقًا للوصـول عن طريق جامعـة المصطفـى، وهي جامعـةٌ متخصصة في العلـوم الدينية، ولكنّي لا أسـتطيع أن أُقـدّم أي شيء حتـى أعـرف قصّتـك الكاملـة، فلكـي أكـون صريحـةً معـك، العلاقة بين إيـران وأمريـكا ليسـت بالجيدة كي أثـق بك وأسـعى لخدمتـك، وليس مـن الطبيعـي أن ترغب مسـيحية في الوصـول إلى قُـم!».

أخـبرت إليزابيـث زينـب بقصّتها كاملـة، ولأن زينـب كانت مبلّغـة فـكان مـن السّـهل عليهـا أن تسـاعدها في كل التفاصيـل التـي تحتاجهـا، ولا أُريـد أن أُطيـل عليكَ يـا أحمد، أخذت تأشـيرة الدخول إلى إيـران مـا يُقـارب شـهرًا، وفي أثنائهـا أصبحـت زينـب الصديقـة المقرّبـة لإليزابيـث، وبطبيعـة الحـال وبسـبب وظيفتهـما اسـتمرا في النقـاش والمُباحثـة والحديـث عـن الديـن الإسـلامي حتـى أعلنـت إليزابيـث تشـيّعها عـلى يـدِ المُبلغـة زينـب بـكل إيـمان ويقـين.

وبعـد هـذا الإعـلان المصـيري والجـذري، اسـتمر الحديـث والنقـاش عـن تفاصيـل المعتقـدات الإسـلامية وبالـذات عـن أصول الديـن: التوحيـد والعـدل والنبـوة والإمامـة والمعـاد، وكان موضـوع التوحيـد هـو أكثـر الأصـول تـداولا، وكأن إليزابيـث تريد أن تمسـح

كل أثـر للتثليـث في عقيدتهـا، وكانت إليزابيث تسـتغل أيـة فرصة بين النقاشـات لتسـأل عن مصائب أبي عبدالله الحسـين صلـوات الله عليه، فهـي قـد تعلقـت بـه سـلام الله عليه مـن صميم قلبهـا الطاهـر، وهل يسـتطيع إنسـان ألا يكـون كذلـك يـا أحمد! ولم تخيـب زينـب ظنها... فكانـت تسترسـل في تفاصيـل واقعـة عاشـوراء الحسـين صلـوات الله عليـه بحرقـة وألم وحـرارة وكانـت هـذه الحرقـة تنتقـل إلى قلـب إليزابيـث المتلهـف أصـلا للحسـين صلـوات الله عليـه فتشـعل كيانها كلـه بدمـوع طاهرة نقيـة واسـتمرت هذه اللقـاءات إلى أن صـدر إذن الدخـول وطـارت إليزابيـث مـن الـسرور قبـل طيرانهـا في الطائـرة، وهنـاك... في الطائـرة، حيـث السـاعات المديـدة من الطـيران، طلبت إليزابيـث مـن زينـب التحـدث عـن تلـك السيدة الجليلة التـي رأتها في تلـك الرؤيـا، وكأن زينـب كانـت بانتظـار هـذا السـؤال فانطلقت تقـول: «آه.... سـألتِني عـن امـرأة جليلـة القـدر».

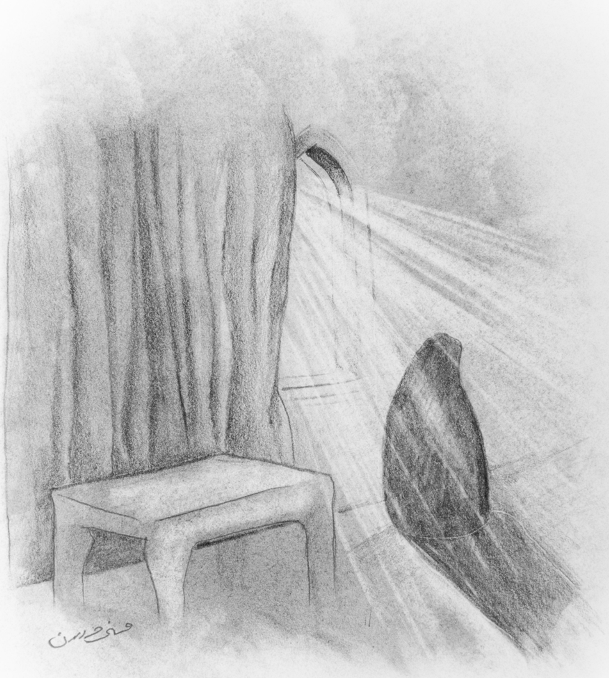

## الوصول إلى عُشّ آل محمد

كانت إليزابيث متلهّفة للوصول إلى عش آل محمد، أولًا لزيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام تلبية للدعوة التي وصلتها في منامها، ولم تقصر زينب في إخبارها عن فضل أرضِ قم، وكيفَ أنها أصبحَت مرتعًا لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام منذ القرن الأول الميلادي، وكانوا هم أول من سكن هذه المنطقة وعمّرها، فأصبحت قُم موالية منذ اللحظة الأولى من ولادتها.

والتجأ إليها الكثير من الملاحقين من أبناء الأئمة عليهم السلام حتى قيلَ إنه بلغ عدد المدفونين فيها ما يفوق الأربعمئة، وكانت زينب تذكّرها بالأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في فضل هذه البقعة الطاهرة حتى وهي في الطائرة، وكانت إليزابيث مُنصتة بخشوع لكل ما تقوله زينب، ومن الأحاديث التي نقلتها ما رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام: «سلام الله على قُم، يسقي الله بلادهم الغيث، وينزل الله عليهم البركات، ويبدّل

سيئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وسجود وقيام، هم الفقهاء العلماء هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة»، ومن عاشرَ أبناء قُم يرى فيهم هذه الخصال الحميدة.

وأوضحت زينب لإليزابيث العلّة في هروب الشيعة إليها، فقد رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أصابتكم بليّة وعناء فعليكم بقُم فإنها مأوى الفاطميين»، فهي الملجأ الذي يذهب إليه كل فاطمي لاحقته الدنيا بأبنائها وغرورها، ومن الأحاديث العجيبة ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام في توضيح علة تسمية أرض قُم بهذا الاسم: «إنما سمّي قُم لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد صلوات الله عليه ويقومون معه ويستقيمون عليه..»، وكأن الصادق عليه السلام أراد أن يُرينا أهمّية هذه البقعة، منذ القرون الأولى للإسلام حتّى ظهور المهدي من آل محمد صلوات الله عليه، وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن للجنة ثمانية أبواب، واحدة لأهل قُم، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد، فخمّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم»، وهُنا نلاحظ أثر هذه الأرض الطاهرة على ساكنيها حتّى بعد الحساب في يوم القيامة، عند باب الجنة!

شغلت هذه الأحاديث والأخبار ذهن إليزابيث وهي في الطائرة، وكانت متعطّشةً لمعرفة المَزيد عن هذه السيدة العظيمة

الساكنة فيها المعروفة بفاطمة المعصومة عليها السلام، وأخبرت زينب أنها فرحت كثيرًا بهذه المعلومات عن فضيلة هذه البقعة الطاهرة ولكنها تريد أن تعرف عن فضل هذه السيدة الطاهرة وزيارتها، فنقلت لها زينب خبرًا يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولنا حرمًا وهو قم، وستُدفنُ فيه امرأة من ولدي تُسَمّى فاطمة، من زارها وَجَبَت له الجنة»، وأضافت أن أكثر من إمام قد ضمنَ لنا الجنّة بزيارتها ومنهم أخوها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فروي أنه قال في حق زائرها: «من زارها عارفًا بحقّها فلهُ الجنة»، اكتفت إليزابيث بهذا القدر من المعلومات وأخبرت زينب أنها تحتاج للتأمّل في هذه النصوص العجيبة في فضل السيدة فاطمة المعصومة وفضل زيارتها والسكن بجوارها في أرض قُم، وها هي الطائرة تقترب من أرضِ طهران.

كانت الرحلات إلى قُم عادةً تهبط في مطار السيد الخميني في طهران، فيستأجر زوار السيدة المعصومة عليها السلام سيارة أُجرة تقلّهم إلى قُم خلال ساعة ونصف تقريبًا، وكانت إليزابيث تتنفّس الصعداء كلّما اقتربت من أرض قُم، حسرةً على ما مضى من عمرها وهي بعيدة عن سيدتها التي دعتها في المنام لتسكن بجوارها».

- «لا أُريد أن أدخل في تفاصيل عناية السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام يا أحمد، فأنا أعلمُ أني قد هيّجت مشاعر شوقك

لزيارتها».

- «أنت تعلم يا شهاب أني أتمنّى أن أجاورَ كريمة أهل البيت عليها السلام منذ سنين عديدة، إلا أن الظروف حالت بيني وبينها، وعلى الرّغم من أني أمشي إلى الحُسين عليه السلام الآن في أيام الأربعين، لكنكَ بذكر اسمها جعلتني أرغبُ في الوقوف على أعتابها لأشكرها على عنايتها الدائمة بي، وأعود إلى هُنا لأُكمل المسير إلى كربلاء باسمها نيابةً عنها».

- «أعلم ما تقصده تمامًا يا أحمد، وأسأل الله... أن يوفّقنا للسكن بجوارها، وتربية أبنائنا على حُبّها، ليشتدَّ عودهم ويكبروا في صحنها الشريف، وعلى كل حال سأختصر عليكَ قصّة إليزابيث، ولن أُطيل الحديث عن اللقاء الأول بينها وبين مولاتها السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، فأنتَ تعلم أن مثل هذا اللقاء يكل عن وصفه الشعراء والأدباء، بل حتّى صاحبه يقرّ بالعجز عن وصف لحظاته وما يشملها من مشاعر وأحاسيس، وبالخصوص إليزابيث، التي جابت البُلدان، وقطعت المسافات من غرب الأرض إلى شرقها، تاركةً حياتها، أهلها، رهبانيّتها، دينها!

بعد وصولها إلى قم المقدسة ولقائها الأول بالسيدة الجليلة فاطمة المعصومة عليها السلام، وقد كان لقاءً أبلغ ما يوصف به أنه: «لا يوصف».

فإنـه كان أول لقـاء في الواقـع، لأن إليزابيـث كانت تلتقـي بمن هدتها ودلتهـا وتحدثـت معهـا في عـالم الرؤيـا، بـل هـو في الحقيقـة «عـالم الحقيقـة»،

فبمجـرد وصولهـا إلى ضريـح السـيدة معصومـة عليها السلام أخذت في الحديـث وكأنهـا تتحـدث إلى مـن تراه ويراها ويسـمعه ويسـمعها، وكانـت تـردد بـين كل جملـة وأخـرى: «شـكرًا لـك سـيدتي الجليلـة، فلـولاك لكنـت مـن الضالـين، وشـكرا لله تبـارك وتعـالى الـذي مَـنَّ علينـا بكـم...».

فالتحقـت بأحد أفرع جامعـة المصطفى في قُـم، لتدرس علوم آل محمـد صلـوات الله عليهـم وتحقّق هدفهـا في معرفة الإمام الحسـين عليه السلام وحقّـه عليهـا!».

## إليزابيث المبلّغة الشيعية

أكمل شِهاب بشغف:

- «ودارَت رحى الأيام والسنين، حتى أصبحت إليزابيث طالبةً مُجتهدة، تدرس الفقه والحديث، وتبلّغ دين أهل البيت عليهم السلام، وتردُّ إشكالات المسيح وغيرهم، وتدعو إلى التشيّع علانيةً، وكان تعلّقها بسيّد الشهداء شديدًا، لم تكُن تترك مجالسه وذكر مصائبه والبُكاء عليه، كانت تحرص على زيارته في كل عام وبالخصوص في الأربعين، وكانت تتابعك يا أحمد وتتابع توثيقكَ لزيارة الأربعين، وتحضر بعض المجالس التي كُنّا نعقدها معًا، وهي الغريبة التي تركت أهلها فأصبح الحُسين موطنًا لها».

ثم سكت شهاب مليا... حتى ظننت أن شيئا قد حصل فالتفتُّ إليه، وإذا به كان ينتظر التفاتتي هذه بابتسامة لطيفة فقال فور التقاء أعيننا:

- «وما أخفيتهُ عنكَ يا أحمد، ولم أرد أن أخبرك به إلا عندما ألتقيك، هو أنها قبل سنتين، بعد أربعين الإمام الحسين عليه السلام بأيّام، كانت تجلس أمام ضريح أخيه العباس عليه السلام، وكانت مُنهكةً من التعب، قد خارت قواها من خِدمة الزائرات في هذا الموسم الأربعيني، وكان الشُّكر لا يفارق لسانها على هذا التوفيق الإلهي للوصول إلى كربلاء المقدّسة، وفي وسط تلكَ الحالة الروحانية العجيبة، دخلت امرأة ومعها طفلةٌ مشلولة، تحملها بيأس، اقتربَت من الضريح وهي تجهش بالبُكاء، حالها أبكى كل الزائرات من النساء، مدّدت طفلتها وألصقت جسدها بالقبر وصاحت:

- «يا أبا الفضل، هذه ابنتي سَكينة، اسمها على اسم مَن وعدتها بالماء، فإني أُقسمُ عليكَ بدموع سَكينة، وحُرقة أختك زينب عليها إلا أن تطلب من الله شفاءها، فقد آيسني الأطبّاء، ولم يتركوا لي أي أمل، فها أنا أحطُّ عصا ترحالي عندك، وأسألكَ أن لا تردّني خائبة، ولن أقوم من هذا المكان حتى تقوم معي ابنتي سَكينة»».

- «شِهاب..؟ طفلةٌ مشلولة؟! اسمها سكينة؟! بعد الأربعين مباشرة!!».

- «نعم يا أحمد، هي نفسها تلكَ الطفلة، زوجتي إليزابيث شاهدةٌ على كل ما حصل في ذلك المكان، وكانت من النساء اللاتي

رأيـنَ ما جرى بـأم أعينهن، رأت كرامة العبـاس عليه السلام عند الله، ورأت الطفلـة سَـكينة تقـف عـلى رجلهـا، وشـاركت بالموكـب الـذي مشـا ببُكائـه إلى الحسـين عليه السلام، وعندما توسّـط الموكب بـين الحرمين، كانت تـذرف دموعها، فوجّهَـت وجهها إلى الحُسـين عليه السلام، وقالت: «إلهي.. لقـد رأيـتُ بأُم عينـي بركتك في حـرم العباس عليه السلام، وشـهدت كرامة عجـزَ عنهـا أهـل الدُّنيـا جميعًـا في شـفاء طفلـةٍ مشـلولة، فـإني أُقسـم عليـكَ بحـقّ هـذا الإمـام الحسـين الغريـب عليه السلام أن ترزقنـي زوجًـا صالحًـا مؤمنًـا يعينني عـلى ديني، ويسـاعدني في نيل رضـاك، يختاره لي الحُسـين عليه السلام بنفسـه مـن بـين الحرمـين»».

- «شِهاب!! ما الذي تقوله!! هذا بالضبط...».

- «نعـم يـا أحمـد، في نفـس ذلـك المـكان في نفـس ذلـك الوقـت بعـدَ الـشروق، في نفـس تلـكَ البقعـة الطاهـرة، أمـام تلـك القبّـة العظيمـة، دعـوتُ وطلبـتُ من الإمام الحسـين عليه السلام نفسَ هذا الدعـاء والطلـب تمامًـا».

- «يـا الله... مـا الـذي يحدث يا شِـهاب؟ كيف هـي رحمة الله وكرامـة الحسـين عليه السلام عنـده؟ هل تـرى كيفَ أنـه قد هنـدسَ حياتك وحياتهـا وهيّـأ الظـروف كلهـا لتلتقيـا عـلى حـبّ الحسـين!».

- «نعـم، فبعـدَ هـذا الموقـف فكّـرت بأن تُرسـل لكَ رسـالةً

مختـصرة، وأخبرتنـي أنّـك لم تُجـب خـلال أيّـام وكادت تفقـد الأمـل إلا أن أملهـا بـالله وبكرامـة الحُسـين عليه السلام كان كبـيرًا جـدًّا، فأجبـتَ عليهـا باختصـار، واتّصلـتَ بي وأنـا أخـبرتُ والدتي عـما أخبرتني بـه، وواجهنـا العَديـد مـن المشـاكل في الوصـول إلى إيـران وإخراجها من هُنـاك إلى أوروبـا في البدايـة، فقـد اتّصلتُ بكَ مـرّة طالبًا مسـاعدتك إن كُنـتَ تذكـر».

- «السّـلامُ عليـكَ يـا رحمـة الله الواسـعة، شُـكرًا لـكَ يـا أبـا عبـدالله الحُسـين عليه السلام، يـا من لا يـردُّ زائريـه، ويرعاهم بلُطفـه وكرمه وحنانـه، كيـفَ نجازيـه يـا شِـهاب؟ كيـف؟».

- «يـا أحمـد، كان بيتـي بوجـود إليزابيـث مليئًـا بذكـره، على الرّغـم مـن أني كنـتُ خائفًـا سـابقًا مـن أن زواجـي قـد يسـلب منـي علاقتـي بالإمـام الحُسـين عليه السلام، وتقل همّتـي في خدمتـه والمواظبة على حضـور مجالسـه وزيارته، ولكنّي بعـد أن تزوّجـت إليزابيث، وجدت نفسي أقـرب للحُسـين عليه السلام منـي مـن قبـل، هـل تعلـم يـا أحمـد أنّها كانـت تبـدأ يومها بالسـلام عليـه، وتختمه هامسـةً قبل نومها: «لسـتُ أنسـاك وحيـدًا في الفـلا يا أبـا عبـد الله»، ولم أرها قبل نومهـا إلا وهي تبكيـه، وكانـت تشـجّعني عـلى إحيـاء ذكـراه، والارتبـاط بـه، عـلى القـراءة عنـه، ولم أرَ منهـا إلا كل الخـير، وكان تعلّقهـا بالحُسـين عليه السلام يزيـد مـن حُسـنِ تبعّلهـا لي، واحترامـي وتقديـري، كانت تقـول إنني

هديّـةٌ مـن الحُسـين عليه السلام لهـا، ولم أكُـن سـوى معـترف بالتقصـير على أداء حـق هـذه النعمـة العظيمـة، ولم أعـرف كيـف أردّ الجميل لمولاي الحُسـين عليه السلام، وكيـف أشـكره!».

## «سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا»

- «انظر المسافة التي قطعناها يا شِهاب، لقد وصلنا إلى العمود 1235، وهذا معناه أننا قد شارفنا الوصول إلى حرم المولى أبي عبدالله عليه السلام، لم نشعر بالوقت ولا بالمسافة ولا بالتعب!».

أجابني شهاب بشيء من اللا مبالاة، وكأن الموضوع لا يعنيه! أو كأن المشي والتعب في سبيل الحسين صلوات الله عليه هو بذاته مطلوب ومرغوب، فقال:

- «نعم.. الحديث عن الحُسين عليه السلام أثناء المسير إليه يطوي الأرض، خصوصًا عندما نذكر عناية الحُسين ورأفته بنا، والبركات التي يغمرنا الله بها بعد التوسل إليه بالحسين عليه السلام».

أجبته وقد بدت ملامح الحماسة والشوق على نبرة صوتي:

- «صحيح، ما زلتُ أُفكّر في الطريقة التي جمع الحُسين

عليه السلام بها بينك وبين زوجتك إليزابيث، ما هو شعورك الآن وأنتَ تحت سقفٍ قد بناهُ لك مَن حُرقَ خيامه؟ حقَّ لكَ أن تبتسم وتشكر الإمام كلّما رأيتَ فيها زوجتك بجانبك، أسأل الله .. أن لا يفرّقكما ويبعث البركة كلها في زواجكما بحق الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام».

ما إن سمع شهاب دعائي حتّى رأيتُ دموعه تسيل على عينيه، تبلل لحيته، سُعِدتُ كثيرًا لموقفه هذا، شعرتُ بأنها دموع الامتنان على النعم العظيمة التي أنعمها الله .. عليه بفضل الإمام الحُسين عليه السلام.

ولكن... ومن غير سابق إنذار، احتضنني شِهاب وقد أجهش بالبُكاء بطريقةٍ غريبة وهو يكرر: «الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله يا أحمد.. الحمد لله»، كان يبكي بكاء طفل صغير فقد أمه... بل بكاء أمٍّ ثكلى على ولدها...

لم أعرف لم انهدَّ ركنه فجأةً هكذا، فاحتضنتُه بشدّة إلا أنه لم يتوقف عن البُكاء، وبكيتُ لبكائه وجلسنا على الأرض وقد لفت حالنا انتباه الكثير من الزوّار ولم يعرفوا كيف يواسوننا إلا أنهم كانوا ينادون وهم يمرّون: «يا حسين.. يا حسين.. يا حسين» فهذا الاسم هو الوحيد الذي يستحق البُكاء عليه.

لا يـزال شِـهاب يجهش ببكائـه ولا أعلم متى وكيف سـيكفّ عـن بكائـه، فحاولـت تهدئتـه فقلـت: «يـا شـهاب، إنّك محبـوب عند الحُسـين عليه السلام، فقـد أعطـاكَ أعظم الهدايـا والنعم، أعطـاك خادمةً أتى بهـا مـن غـرب الأرض لتكـون زوجتـك، فهيـا قُم لتـؤدّيَ حـقّ هذه النعمـة، قـم لنمـشيَ إلى الذّبيح، قم لتشـكره عـلى النعم التـي أنعم الله عليـكَ بهـا ببركة الحسـين...».

- «أحمد... إليزابيث...».

- «ماذا بكِ يا شهاب أخبرني؟».

- «إنهـا تحـتَ الـتّراب! لقـد دفنتها بيـدي في ليلة السـابع من المحـرم!!».

أصابتنـي صاعقـة تجمد بها كل جسـدي، بل شـل بها تفكيري ووجـودي كلـه:

- «مـا الـذي تقولـه يـا شِـهاب؟ كيـف دفنتها؟ هـل ماتت؟ كيـف ماتـت؟ لم نسـمع بذلـك منـك ولا مـن أهلـك!».

- «كانـت هـذه وصيّتهـا يا أحمـد! أبلغتني وأبلغـت أهلي قبل رحيلهـا بـأن لا نخـبر أحـدًا حتى ينتهي عـزاء الإمام الحسـين عليه السلام في شـهر صفـر».

كَلَّ لسـاني، ولم أتمكّـن من النّطق بأي حرف لمواسـاة شـهاب، فقـد صعقنـي بهذا الخـبر، وفاجـأني بوصيـة إليزابيـث، ولم أعلم كيف أُنقـذ شـهابًا مـن هـذا الموقـف، فتذكّرت حديـث الإمـام الرضا عليه السلام وهمسـت بـه إلى شـهاب:

– «لا تنسَ يـا شـهاب وصيّة الإمام الرضا عليه السلام لابن شـبيب حينـما قـال: «إن كنـتَ باكيًا لـشيء فابكِ للحسـين، فإنه ذُبِـح..»، فلا يـومَ كيومـه، ولا مصيبـة كمصيبتـه، ولا فقـدَ كفقـده، فأرجـوك قُـم لنُكمـل المـشيَ إليـه».

ثم ربّتُّ على كتفه وقلت:

– «والله أعلـم أنهـا لمصيبـة عظيمـة أن يفقـد الإنسـان عزيـزًا مخلصًـا، ولكـن لنـا في أمير المؤمنين عليه السلام أسـوة حسـنة، فإنـه قال عند دفن سـيدة نسـاء العالمـين صلـوات الله عليهما وآلهـما: «السَّـلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُـولَ اللهَّ عَنِّي وعَـنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَـةِ فِي جِـوَارِكَ، والسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِـكَ، قَلَّ يَـا رَسُـولَ اللهَّ عَنْ صَفِيَّتِـكَ صَـبْرِي، ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّـدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّـأَسِّي لِي بِعَظِيـمِ فُرْقَتِـكَ، وفَـادِحِ مُصِيبَتِـكَ، مَوْضِـعَ تَعَـزٍّ».

سـاعدته عـلى الوقـوف، كفكـف دموعـه، وتمالك نفسـه، ولم أشـأ أن أزعجـه بسـؤالي مباشرةً عن هـذا الخبر المفاجئ الـذي صعقني بـه، فانتظـرتُ قليـلًا وأنـا أُعينـه عـلى المـشي لكـي أتحدّث معـه عـن

فقيدتـه.

كان يمـشي ببـطء شـديد، وظهـر مثقـل، ويتوقـف بـين حين وآخـر...

وعندمـا لاحظـت ذلـك همسـت في أذنـه مـرة أخـرى، وهذه المـرة أنـا الـذي بكيـت بـكاء غزيـرًا وقلـت لـه:

- «أتـرى مشيك هـذا يـا عزيـزي، فسـاعد الله قلبـك يـا حسـين، كيـف حملـت ابنك الشـهيد علي الأكـبر، ثم كيـف حملت قمر العشـيرة قائـلًا الآن انكسر ظهـري...».

ثـم أكملنـا مسـيرنا، ولا نشـعر بالمـشي ولا بالتعب، وشـوقنا لحـرم الحسـين، لضريح الحسـين، لعتبـة حرمه المـشرف... تـزداد أكثر فأكثـر ويـكاد الشـوق يخنقنـا.

أوصيك
بهذا
الغريب

## أوصيك بهذا الغريب

استمر المشي لما يقارب الساعة، ونحن مذهولون حزينون، لا أدري كيف أبدأ الحديث معه، ولا أريد أن يستمر هذا الصمت الذي لا أعلم ما الذي يفعله بقلب صديقي العزيز... لمحتُ أحد المواكب من بعيد وكان أحدهم يقف بداخل كوخ صغير وهو ينادي:

- «اشرب الشاي يا زاير... شاي أبو علي يا زاير...».

وما إن وصلنا إلى ذلك الكوخ حتى مسكتُ بيد شهاب وقُدته إلى ذلك الرجل قائلًا له وأنا أحاول إجبار نفسي على رسم ابتسامة مصطنعة:

- «اشرب زاير، اشرب يا شهاب».

ومـا إن وصلنـا إلى ذلـك الكـوخ حتى مسـكتُ بيد شـهاب وقُدته إلى ذلـك الرجـل قائـلًا له وأنـا أحـاول إجبـار نفسي على رسـم ابتسـامة مصطنعة :

- «اشرب زاير، اشرب يا شهاب».

فابتسـم ابتسـامة مجاملـة، وأخـذ مني كـوب الشـاي، وحاول أن يجاريـني في الحديـث قليلًا حتّى لا يبيّن لي شـدّة انكسـاره، إلا أني لم أتمالـك نفـسي، وسـألته:

- «أعلـم أنـك قـد لا تـود الحديـث عـن الموضـوع ولكنـي أخـوك يا شِـهاب، أخبرني ما الـذي حصل؟ كيفَ ماتـت إليزابيث؟».

- «في البدايـة أود الاعتـذار عـلى انفجاري عليـك قبل قليل، فالحديـث عنهـا وعـن قصّتهـا هيّـج ذكريـاتي القصـيرة معهـا التي لن أنسـاها مـا حَييـت، وفي الحقيقـة لا أعلم من أيـن أبدأ يا أحمـد، ولكن بعـد الـزواج بسـنة وعـدة شـهور انتكسـت حالتهـا الصحّيـة بشـكل مفاجـئ، وبعـد المراجعـات تبـيّن أنهـا كانـت تعـاني مـن سرطـانٍ في الدّمـاغ، وللأسـف الشـديد كنا قد تأخرنا في السـيطرة عليـه، ولم أرها يـا أحمـد إلا مسـلّمةً أمرهـا إلى الله، حتـى بعـدَ أن أبلغنـا الطبيـب بعد مراجعـة الأشـعة بـأن العـلاج لن يقـوم إلا بتأخـير انتشـار السرطان،

ولـن يسـتطيعوا اسـتئصاله، وكنـتُ أحـاول جاهـدًا المحافظـة عـلى رباطـة جـأشي أمامَهـا ولكنهـا كانـت شـديدة الملاحظـة، فنادتنـي في يـوم مـن الأيـام وقالـت لي: «سـامحني على التقصـير معك يا شـهاب، كنـتُ أتمنّـى أن أخدمـك وأُسـعدكَ لفـترة أطـول، إلا أن المـرض أكل صحّتـي وعافيتـي، فحلّلنـي يـا شِـهاب»، جاوبتها بنـبرة حـادّة جدًّا: «كيـف تقولـين هـذا يـا إليزابيـث؟! أنـتِ هديّـة الإمام الحسـين عليه السلام لي، لم أرَ منـكِ إلا كل الخير، كنـتِ ومـا زلـتِ سـكنًا لي، فأرجـوك لا تفكّـري إلا بـأن تتحسّـني لتعـودي إلى المنـزل يـا إليزابيـث».

ولكنهـا علمـت أن أجلهـا قـد اقـترب، وسـلّمت أمرهـا كله إلى الله تبـارك وتعـالى، وكانـت توصينـي في تلـك الفترة بوصايا أشـبه مـا تكـون بوصايـا أوليـاء الله، فقالـت لي يومـا: «شِـهاب، أرجوك... لا تنـسَ فضـل الحُسـين عليـه السـلام عـليّ، اشـكره بالنيابـة عنـي مـا أبقـاكَ الدهـر، فبفضـل اسـمه هـداني الله جل جلاله مـن المسـيحية إلى الولايـة، مـن أمريـكا إلى قُـم المقدّسـة فجـاورتُ السـيدة فاطمة بنت موسـى الكاظـم عليهما السـلام، بفضـل زيارته رزقنـي الله جل جلاله زوجًا صالحًـا قـد اختـاره لي هو عليه السـلام، بفضلـه اهتديـتُ إلى الصراط المسـتقيم، صراط عـلي بـن أبي طالب عليه السـلام، بفضل انكسـاري عـلى مصيبتـه وُفّقـتُ لأن أُعـرَف بخادمـة الحُسـين عليه السلام في المجالـس الحُسـينية، فأرجـوك لا تنـسَ شـكره بالنيابـة عنـي في كل يـوم.

وأمـا الوصيـة الثانيـة، فـإن شـهر محـرم عـلى الأبـواب، وكلي رجـاء بـأن يأخـذ الله روحـي في أيـام عزائـه، فأتمنّـى أن لا تنشـغل بعزائـي، ولا تخـبر أحـدًا بموتي، حتـى تنتهي من عزاء سـيد الشـهداء عليـه السـلام بعـد الأربعـين، بعـد أن ترجـع العقيلـة زينـب عليهـا السـلام ومعهـا رأس الحُسـين عليـه السـلام فترجعـه إلى قـبره، وإن اسـتطعتَ أن تدفننـي عنـد الحُسـين في وادي كربـلاء فأرجـوك افعل، فمـن عادتنـا أن نكـون في العـشرة الأولى مـن شـهر محـرم الحـرام في كربـلاء عـلى كل حـال، فقد يأخـذ الله روحـي في تلكَ الفـترة، وأخيرًا أرجـوك، لا تنـسَ الحُسـين عليه السلام».

هـذه وصيّتهـا الأخـيرة التـي حاولـت الالتـزام بهـا قـدر الإمـكان، وهـي الآن ترقـد بجـوار الحسـين عليه السلام في مقـبرة وادي كربـلاء، وهـذه الخطـوات في هـذه الزيـارة كلهـا نيابـةً عنها يـا أحمد، فراقهـا كـسرَ ظهـري، ولكـن لا يـوم كيومـك يـا أبـا عبـدالله».

أجبته والحيرة والذهول قد أخذا مني مأخذًا عظيمًا:

- «لا أعلـم مـاذا أقول يا شِـهاب، ولكني لا أريـدك أن تجزع عـلى هذا المُصـاب العظيم الـذي حلَّ بك، فـإن هذه الدنيا هي سـجنُ المؤمـن ولا يـدوم فيهـا أحـد».

- «أعرف ذلك، فمن كلماتها الأخيرة لحظة الوداع: «كُن قويًّا يا شِهاب، فنحنُ لم نُخلَق لنلعب ونلهو في هذه الدنيا، وأنا إن رحلتُ عنك، تذكّر أنّي كغيري، ستسبقني بالرحيل إن لم أسبقك أنا، فالموت لا يعرف رجلًا أو امرأة، صغيرًا أو كبيرًا، وقد نخطط لحياة طويلة تطول فيها آمالنا، فيأتينا الموت بغتةً يدمّر كل مستقبلٍ سعينا لأجله، فلا مستقبل إلا مع الحُسين عليه السلام، ولا يبقى للمؤمن إلا عمله الصالح، وخدمته وعطاؤه لدينه، وأعلم بتعلّقكَ الشديد بي، ولكن اجعل هذا درسًا لك، كنتَ تتمنّى أن تتزوج بامرأةٍ تعيش معها سنينَ طويلة، ولكن الموت قد يأتيها بغتةً ويأخذها من بين يديك في لحظة واحدة، فلا ترهق نفسك في طول الأمل، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتكَ كأنكَ تموت غدًا، واعلم أن الدنيا لن تقف على أي أحد، فكُن قويًّا في مواجهة اختباراتها، لتلقى الله جلّ جلاله وهو راضٍ عنك إن شاء الله، وأتمنّى أن نلتقي في الجنّة ويجمعنا الله في جنة محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأرجو أن تذكرني دائمًا في زيارتك لسيد الشهداء عليه السلام»».

أجبته بانبهار شديد بمقام زوجته فقلت:

- «لم تُبقِ لي إليزابيث أي تعليق بهذه الوصايا، فليس لي إلا

أن أقـول عظّـمَ الله لـكَ الأجـرَ يـا شِـهاب».

- «أجـركَ أعظـم يـا صديقـي، ولا أُريـد منـكَ إلا أن تعينني عـلى حمـل رايـة العـزاء فقـد اقتربنـا مـن كربـلاء، وأرجـوكَ لا تنـسَ زوجتـي إليزابيـث من الدعـاء والزيـارة، واذكرها عند انكسـار قلبك عـلى مصيبـة سـيد الشـهداء عليه السلام».

أجبتهُ فورًا:

- «إن ذلـك حـق علي تجـاه هذه المـرأة الطاهرة... أعـدكَ بأنّي لن أنسـاها، وهديّـة لروحهـا الطاهـرة، ولأرواح المؤمنـين والمؤمنات الذيـن ماتـوا عـلى حُبّ الحسـين عليه السلام وحـب زيارتـه، لنهديهـم ثواب قـراءة زيارة عاشـوراء وسـورة الفاتحة، بعـد الصلاة عـلى محمد وأهل بيتـه الطيبـين الطاهرين.

وصدقنـي لـن أنسـى فضـل السـيدة معصومـة سـلام الله عليهـا عـلى إليزابيـث، وسـأُدوّن القصّة كاملـة بشرطِ إخفـاء هويتكم الحقيقيـة، وسـأحاول إيصـال هذا الفضـل لأكبر عدد مـن المؤمنين إن شـاء الله تعـالى، وأكتـب في ختـام القصة: «وأمـا بعد، فـإني أطلب من كل مـن يقـرأ هـذه القصـة ويتأثـر بهـا أن يشرك هـذه الـروح الطاهرة في زياراتـه ودعائـه، فإنهـا جاهـدَت بكل مـا أوتيت من قـوة في الدفاع

عـن الإسـلام والقـرآن وأهـل البيـت عليهم السلام »،

وأبدؤهـا بنفسي وبـك يا صديقي أن نهـدي لروحها الطاهرة، ولأرواح المؤمنـين والمؤمنـات الذيـن ماتـوا عـلى حُـبّ الحسـين عليه السلام وحـب زيارتـه، ثـواب قـراءة زيـارة عاشـوراء وسـورة الفاتحـة، بعد الصـلاة عـلى محمـد وأهـل بيتـه الطيبـين الطاهريـن».

- «اللهـم صـلّ عـلى محمد وآل محمـد وعجّل فرجهـم والعن عدوّهـم، أحسـنت يـا أحمـد!».

**أحمد صدّيق**

صدر للكاتب:

- ولوموا أنفسكم ٢٠١٨

- فوزًا عظيمًا ٢٠١٩

- كورونا الخير ٢٠٢٠


**للتواصل مع الكاتب**

ahmad.seddiq@icloud.com

@ahmad__seddiq